الحوثيون

الظاهرة الحوثية

دراسة منهجية شاملة

(طبيعة النشأة والتكوين - عوامل الظهور
وجدلية العلاقة بالخارج - مشاهد المستقبل)

د/ أحمد محمد الدغشي

دار الكتب اليمنية

مكتبة الجيل الجديد

الظاهرة الحوثية : دراسة منهجية شاملة

(طبيعة النشأة والتكوين– عوامل الظهور وجدلية العلاقة بالخارج– مشاهد المستقبل)

د. أحمد محمد الدغشي – أستاذ أصول التربية وفلسفتها المشارك

كلية التربية – جامعة صنعاء– اليمن

قائمة الحتويات

الموضوع الصفحة

مقدّمة
تعريف إجرائي
هيكلية الدراسة
المبحث الأول : خلفية تاريخية
المبحث الثاني مراحل التنظيم وتطوّره
المرحلة الأولى: مرحلة التأسيس والتكوين
أهداف التنظيم
المرحلة الثانية: مرحلة المواجهات المسلّحة
المبحث الثالث: عوامل الظهور
أولاً العامل الداخلي:
١-جذور التشيّع السياسي
٢- التكوين العلمي والفكري الأيديولوجي
سبب التمرّد
٣- الخلافات الداخلية
٤-مشكلة التعامل مع يهود صعدة
ثانياً: العامل الخارجي
تصدير عقيدة الثورة الإيرانية
هل كان حسين الحوثي إمامياً؟

حقيقتان في مسألة العلاقة بالخارج:

إلى يحيى الحوثي: ليته كذلك
شاهدان آخران
١- إحياء يوم الغدير
المشكلة في مدلول الاحتفال
٢- الشعار الجديد
قصة الشعار من طهران إلى مرّان

شعار مقدّس

دعوة للمراجعة

المبحث الرابع: مستقبل الحوثية

أولاً: الاتجاه العسكري والميداني

اتفاق هشّ

ثانياً: الاتجاه السياسي والتنظيمي

ثالثاً: الاتجاه التربوي والفكري

١- مناهج التعليم العام الرسمي في المرحلتين الأساسية والثانوية

٢- مناهج التعليم الجامعي العام الحكومي

٣- مناهج التعليم الشرعي الأساسي والثانوي والجامعي (الخاصة)

الخلاصة (النتائج والتوصيات)

أولاً: النتائج

ثانياً: التوصيات

الهوامش

قائمة المراجع

مقدّمة:

أخذت ظاهرة الحوثية في اليمن حيّزاً هائلاً من الاهتمام الإعلامي، ومساحة واسعة من الجدل الثقافي والفكري على الصعيدين الداخلي والخارجي. وظهرت كتابات متباينة الوجهة، تأييداً ومعارضة، بدوافع مختلفة. وإن الباحث الحرّ ليقف محتاراً حين يبحث عن كتاب أو دراسة علمية تتحلّى بقدر معقول من الموضوعية، فلا يجد إلا القراءة ذات اللون الواحد، وبالعين الواحدة، هي عين المحبّ الغالي، أو المبغض الشاني، فتدور كلّها- بحسب اطّلاع الباحث الحالي- بين ثنائية التقديس والتبخيس، أو الرفض المطلق، والقبول الكامل، وتلك آفة من يكتب في الفِرق والجماعات، في القديم والحديث- إلا من رحم ربك- ، كما أن ذلك يمثِّل التحدّي الأكبر أمام الباحث الحرّ النزيه، الذي يقوده البحث، لا أنه يقود البحث. والمفارقة أننا جميعاً نزعم استنادنا في أحكامنا إلى القرآن الكريم، على حين نجد أن منهج القرآن يربّي أتباعه الجادّين على التحلّي بالموضوعية في أسمى معانيها، حتى مع غير أبناء ديننا، وذوي

الاختلاف الكلّي معنا، من أبناء الديانات أو الحضارات الأخرى كما في هاتين الآيتين –على سبيل المثال– :

"{ **ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً** } (آل عمران: ٧٥)

" **ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون...**". (آل عمران : ١١٣ – ١١٥).

إن الكتابة في قضية معقّدة كالحوثية، يختلط فيها الفكر بالسياسة، والتاريخ بالحاضر؛ والأيديولوجيا بالمنفعة؛ لهو مدعاة إلى التريّث، ومجاهدة الذات، كي تخرج – ما أمكن– نوازع الأنا، ودوافع الرضا والسخط، واعتبارات القبول والرفض. كما لابدّ أن يوطِّن الباحث –الذي قبل التحدّي، فاقتحم هذا الواقع بهذه المنهجية– نفسه على تقبّل النقد مهما احتدّ، بل الاتهام والاتهام المضاد، إذ (إرضاء الناس غاية لن تدرك)، على حين أنه يجاهد نفسه لتحقيق شعار (إرضاء الله غاية لن تُترك)، وحسبه أن اجتهد فاختار الوقت الأكثر مناسبة، أي بعد أن وضعت الحرب الخامسة أوزارها، ومرّت بضعة أشهر على الإعلان عن ذلك، وهذا عامل قدرة على رؤية أكثر بصيرة، وأدعى للتمييز بين الأشياء، بعيداً عن لحظة الحدث وما يستتبعه من تداعيات نفسية وعاطفية وسياسية وفكرية ومنهجية متداخلة في آن.

وللباحث أملان في القارئ الكريم سواءً المتفق معه، أم المختلف، أحدهما: أن يدرك أن اقتباس الباحث عن بعض المصادر أو المراجع لايعني بالضرورة تأميناً على كل ما ورد فيها، فقد يختلف مع مضامينها بالجملة أو بعضها، لكنه يحرص على أخذ المعلومة، مادامت دقيقة موثّقة من أي مصدر جاءت، كي لايدفعه شنآن كتاب أو صاحبه إلى الحرمان من بعض فوائده أو نفائسه . وثانيهما: أن يحسن الظن بالباحث ابتداء، ويصبر عليه حتى نهاية الدراسة. وله بعد ذلك أن يقول كلمته في الدراسة وصاحبها، بما يملي عليه ضميره ووعيه ومسئوليته الأخلاقية.

والحق أنه لابدّ من تقرير حقيقة منهجية منذ البداية، حاصلها أنه يذهب في الأمنيات(الخيالية) بعيداً من يعتقد أن بإمكان باحث يتحلى بروح الانتماء الحضاري– مهما جاهد نفسه، أو أوتي من مؤهلات الموضوعية والتحلّي بالضوابط المنهجية والأخلاقية – أن يقتصر رأيه على الوصف المجرّد، دون أن يبدي موقفاً، أو يصدر حكماً صراحة أو ضمناً، إزاء ظاهرة كليّة انعكست تداعياتها على المشهد العام، بكل فصوله، في حياة اليمانيين، بل تجاوز الأمر المحيط الداخلي إلى الخارج، ممثلاً في بعض دول الجوار، وكذا الأطراف الخارجية ذات الصلة بالحراك أو المشهد الثقافي والفكري والسياسي في اليمن على نحو أو آخر. غير أن هذا التمهيد لا يؤذن بتساوق مع ذلك المسلك الشائن الذي يتقدّم به بعض الكتّاب والباحثين، حين

ينطلقون إلى الكتابة في موضوع كهذا، تعبيراً عن موقف مسبق مغلق، دافعه طائفي، أو حزبي، أو سياسي، أو نفعي ما، أو تناغم مسطّح مع الوضع البيئي السائد، تأييداً أو معارضة.

تعريف إجرائي:

تؤكّد الأدبيات التي تمكّن الباحث من العثور عليها أثناء جمع المادة العلمية لهذه الدراسة أن حركة الحوثي ظاهرة حديثة في شكلها وهيكلها الخارجي بيد أنها ذات جذور اختلط فيها القديم بالحديث، بالنسبة إلى جوهر المضامين ومنطلقات التفكير، مع تفاعل مشهود بالواقع المعاصر وإشكالاته وتحدّياته. وعلى ذلك فبوسع الباحث أن يعرّف ظاهرة الحوثي هذه إجرائياً بأنها تلك الحركة أو ذلك التنظيم الفكري السياسي المسلّح الذي أعلن عن نفسه في العام ١٩٩٠م، باسم تنظيم أو جماعة أو منتدى (الشباب المؤمن)، كإطار تربوي وثقافي وسياسي(ضمناً)، بحيث اقتصر اهتمامه على تربية الشباب وتأهيلهم بدراسة بعض علوم الشريعة، مع الأنشطة المصاحبة، وفق رؤية مذهبية زيدية غالبة، قبل أن يتحوّل إلى تنظيم عسكري مسلّح بعد ذلك .

هيكلية الدراسة:

يقتضي البحث في هذه الظاهرة التقسيم لها– بعد التمهيد– إلى المباحث التالية:

المبحث الأول: الخلفية التاريخية

المبحث الثاني: مراحل التنظيم وتطوّره

المبحث الثالث : عوامل الظهور

المبحث الرابع: مشاهد المستقبل

هذا والله نسأل أن يرينا الحق حقّاً، وأن يُبعِد عن أمّتنا الفتن ما ظهر منها وما بطن

د أحمد محمّد الدغشي– أستاذ أصول التربية وفلسفتها المشارك
كلية التربية – جامعة صنعاء
في غرّة شعبان ١٤٣٠هـ الموافق ٢٠٠٩/٧/٢٤م

المبحث الأول: الخلفية التاريخية

لتقريب الظاهرة الحوثية إلى ذهن القارئ – ولاسيما القارئ خارج اليمن–، ولإدراك مدى تأثير البُعد التاريخي على الظاهرة موضوع الدراسة؛ يبدو أنّه لا مناص من الإشارة إلى الحقيقتين التاليتين:

الحقيقة الأولى: ثمّة مكوِّنان مذهبيان رئيسان سائدان في اليمن، عبر تاريخها الإسلامي، هما الشافعية(نسبة إلى الإمام محمّد بن إدريس الشافعي(ت: ٢٠٤هـ) والزيدية (نسبة إلى الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ت: ١٢٢هـ)، عاش في ظلهما اليمنيون منذ نشأتهما على نحو من التآخي العام، دون أن يعني ذلك خلوّ الأجواء دون حدوث قدر من المناكفات والمشاحنات بين حين وآخر، وعادة ما يسهم في تأجيجها تسييس أيّ من المذهبين حين تدول الغلبة لأيّ منهما في الحكم والإمارة –وخاصة الزيدي منهما– ، ذلك أنه قد تمكّن بعض الأئمة الزيدية من السيطرة على بعض المناطق في اليمن، وجعل المذهب الرسمي للحكم فيها هو المذهب الزيدي الهادوي (نسبة إلى الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم الرسيّ ت: ٢٩٨هـ) لفترة تزيد عن الألف عام"(١).

وإذا كان الإمام زيد هو صاحب المذهب، ومن تنتسب إليه الزيدية في اليمن؛ فإن تراثه خلو من الزعم باشتراط نسبي أو عائلي أو حتى أفضلية لحصر الخلافة في البيت العلوي، بل يراعي في ذلك مصلحة المسلمين وعدالة الوالي، وإن سمى واقعاً كهذا إمامة المفضول، مراعاة لشرطي الكفاية والعدالة بعيداً عن الافتراضات المثالية (٢). وهذا مستنتج بوضوح من رأيه الذي يقول فيه:" كان علي ابن أبي طالب أفضل الصحابة، إلا أن الخلافة فوّضت لأبي بكر لمصلحة رأوها ، وقاعدة دينية راعوها، من تسكين ثائرة الفتنة، وتطيب قلوب العامة. فإن عهد الحروب التي جرت في أيام النبوة كان قريباً، وسيف أمير المؤمنين عليّ من دماء المشركين من قريش وغيرهم لم يجفّ بعد، والضغائن في صدور القوم من طلب الثأر، كما هي. فما كانت القلوب تميل إليه، كل الميل، ولا تنقاد إليه كل الانقياد. فكانت المصلحة، أن يكون القائم بهذا الشأن من عرفوه باللين، والتؤدة، والتقدّم بالسن، والسبق في الإسلام، والقرب من رسول الله – صلى الله عليه وسلّم– ؟ ألا ترى أنه لما أراد في مرضه الذي مات فيه تقليد الأمر عمر بن الخطاب زعق الناس، وقالوا:" لقد ولّيت علينا فظاً غليظاً". فما كانوا يرضون بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب، لشدّته وصلابته وغظه في الدين، وفظاظته على الأعداء، حتى سكَّنهم أبو بكر بقوله:"لو سألني ربي لقلت ولّيت عليهم خيرهم لهم". وكذلك يجوز أن يكون المفضول إماماً، والأفضل قائم، فيرجع إليه في الأحكام، ويحكم بحكمه في القضايا"(٣) .

وإذا كان ذلك أمراً مشتهراً في أوساط المؤرّخين والباحثين في هذا المجال فإن أحد الباحثين المعاصرين يورد رواية تبدو غريبة على هذا الوسط- ناهيك عن غيره- وقد أورَدَتها – حسب الباحث- بعض نسخ مجموع الإمام زيد بن علي عن أبي خالد الواسطي(ت: في الربع الثالث من القرن الثاني)، ولم يعثر عليها الباحث الحالي في النسخة المطبوعة التي بحوزته، تؤكّد الرواية الأخرى المشتهرة عند أهل السُنّة، بأن الخلافة في قريش(وليست محصورة في البطنين)،مع الإشارة إلى أن ذلك الشرط شرط أفضلية لا شرط وجوب من خلال الرواية نفسها ونصّها :" سألت زيد بن علي –عليه السلام- عن الإمامة فقال:" هي في جميع قريش، ولا تنعقد الإمامة إلا ببيعة المسلمين، فإذا بايع المسلمون، وكان الإمام برّاً تقياً عالماً بالحلال والحرام ، فقد وجبت طاعته على المسلمين". ولكن تشكيك بعضهم في صحة سند الرواية منسوبة إلى الإمام زيد، واتهام بعض المطابع بإدراجها، بحجة أن لا أصل لها في المجموع الشهير المنسوب إلى الإمام زيد، جعل ذلك الباحث يتجاوز أمر التشكيك في روايتها في بعض النسخ المطبوعة للمجموع إلى روايتها مباشرة عن شيخه بسنده المتصل إلى زيد بن علي بن أبي طالب، وأورد صورة خطية من إجازته له وفيها النص على هذا الحديث(٤).

لكن ذلك على خلاف الرأي الذي ساد بعد قدوم الإمام الهادي عام ٢٨٤هـ إلى اليمن للمرة الثانية، وغدا من حينها مؤسس الدولة الزيدية الأولى في اليمن، حيث برزت فكرة اشتراط البطنين (الحسن والحسين) للخلافة، وغدت مسلّمة لمن رام في نفسه أهلية للحكم(٥).

وينص أحد أئمة الهادوية وهو المهدي أحمد بن يحيى المرتضى(ت: ٨٤٠هـ) في أبرز مصدر هادوي معتمد حتى اليوم لدى الزيدية المعاصرة وهو (متن الأزهار)؛ على شرط العلوية والفاطمية بقوله:" ويجب على المسلمين شرعاً نصب إمام مكلّف ذكر حرّ **علوي فاطمي** ولو عتيقاً لا مدّعِي، سليم الحواس والأطراف ، مجتهد عدل سخيّ، يوضع الحقوق في مواضعها، مدبّر، أكثر رأيه الإصابة، مِقدام، حيث يجوِّز السلامة، لم يتقدّمه مجاب، وطريقها الدعوة، ولا يصحّ إمامان" (٦).

كما عدّ الإمام يحيى بن حمزة (ت:٧٤٩هـ)(وهو من أعدل الزيدية وأكثرهم شهرة بالذب عن الصحابة) واحداً من صفات الزيدي حصره الإمامة في الفاطمية حين عرّف الزيدية ونسبها إلى الإمام زيد ثمّ أعقب ذلك بقوله:" فمن كان على عقيدته في الديانة والقول بالمسائل الإلهية، والقول بالحكمة، والاعتراف بالوعد والوعيد، **وحصر الإمامة في الفرقة الفاطمية،** والنص في الإمامة على الثلاثة الذين هم علي وولداه وأن طريق الإمامة الدعوة فيمن عداهم، فمن كان مقراً في هذه الأصول فهو زيدي "(٧).

الحقيقة الثانية:

لم يؤثر عن الإمام زيد نيل من كبار الصحابة كأبي بكر وعمر –رضي الله عنهما– بل إن التحقيق العلمي ليقرّر أنّه مما ثبت عنه واشتهر القول بصحّة ولاية الشيخين (أبي بكر وعمر)، والتبرؤ ممن نال منهما أو قدح في خلافتهما، وأن ذلك الموقف منه هو سبب انفصال معظم جيشه عنه، حيث لم يقاتل معه ساعة المواجهة مع جيش هشام بن عبد الملك الأموي (ت:١٢٥هـ)، سوى مائتين وثمانية عشر رجلاً، مما جعل زيداً يقول: " سبحان الله،أين الناس؟" فقيل: "هم في المسجد محصورون"(٨). بل إن بعض المصادر الزيدية المعاصرة لتقرّر – تبعاً لما هو ثابت في أمهات المصادر التاريخية– أن الوصف بالرفض الذي ينزعج منه الشيعة الإمامية المعاصرون قد سنّه الإمام زيد حين اشترط بعض غلاة الشيعة الذين كانوا معه– كي يخرجوا معه ويقاتلوا– أن يتبرأ أولاً من أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما– وحين أبى ذلك، رفضوا القتال معه" فقال لهم اذهبوا فأنتم الروافض، فصارت هذه الكلمة علماً لهم"(٩).

غير أنه قد ظهرت فرقة تاريخية تمثِّل واحدة من فِرق المذهب الزيدي، تقترب في جوهرها من الفكر السياسي الإثني عشري، من حيث الموقف السلبي من الصحابة الكرام وفي مقدّمتهم الخلفاء الراشدون الثلاثة، وتلكم هي فرقة الجارودية (نسبة إلى أبي الجارود زياد بن أبي زياد، وقال بعضهم: إنه زياد بن المنذر العبدي، ت:١٥٠هـ، وقيل ١٦٠هـ). وترى "أن النبي– صلى الله عليه وسلّم– نصّ على علي بن أبي طالب بالوصف لا بالتسمية، فكان هو الإمام من بعده، وأن الناس ضلّوا وكفروا بتركهم الاقتداء به بعد الرسول – صلى الله عليه وسلّم–، ثم الحسن من بعد علي هو الإمام، ثم الحسين هو الإمام من بعد الحسن"(١٠). وسيتضح في السطور القادمة إلى أي مدى يقترب الفكر الحوثي من هذه الفرقة.

المبحث الثاني: مراحل التنظيم وتطوّره

بوسع الباحث القول إنّ تنظيم الشباب المؤمن مرّ بمرحلتين مفصليتين في مسيرته، وذلك على النحو التالي:

المرحلة الأولى:مرحلة التأسيس والتكوين:

وتبدأ منذ إعلان التنظيم عن نفسه عام ١٩٩٠م، في بعض مناطق محافظة صعدة (تبعد عن صنعاء ٢٤٠كم شمالاً)، أي بعيد إعلان الوحدة اليمنية والسماح الدستوري للتعدّدية السياسية إطاراً ثقافياً وسياسياً – بطبيعة المنهج الذي تم تقريره على الطلبة في الفترة الصيفية، وكذا المحاضرات التوعوية، وجملة الأنشطة الفكرية والسياسية المصاحبة، والمقدَّمة لمنتسبي هذا التنظيم، أو المنتدى، أو الجماعة، وكانت تتضمن دروساً دينية، كالفقه، والحديث، والتفسير، والعقائد، إضافة إلى أنشطة مختلفة كالرياضة، وتعليم الخطابة، والأناشيد، والمسرحيات، واللقاءات، والحوارات وغيرها، كل ذلك في إطار برنامج يومي مكون من ثلاث فترات: فترة صباحية، وفترة الظهيرة، وفترة المساء (١١).

وغدت هذه المراكز قبلة لكثير من الطلاب القادمين إليها من مختلف المحافظات المعروفة تاريخياً بانتمائها إلى المذهب الزيدي الهادوي، ثم تجاوز الأمر محافظة صعدة إلى العديد من المحافظات والمدن، ذات الطابع الشيعي الزيدي الهادوي، التي فتحت مراكز خاصة بها، وفق المنهج القائم في صعدة. وبلغ – حسب مصدر في صعدة يزعم اطلاعه – عدد الطلاب في تلك المراكز نحو ١٥,٠٠٠ طالب في صعدة(١٢) ، و١٨٠٠٠ طالب بحسب بيان صادر باسم الإثني عشريين اليمنيين(١٣). وتفيد بعض المصادر الصحفية أنه "خلال سنوات قليلة صار للمنتدى أكثر من ٦٧ حلقة تدريس، ومدرسة، تجاوزت صعدة الى قرابة ٩ محافظات يمنية، بل وصلت الى دول خليجية منها قطر. وللمرة الأولى نجح فريق من شباب المنتدى المتحمسين في إعداد «منهج دراسي» وطباعته، كان الشرارة التي أشعلت الخلاف، بعد أن كان متوارياً بسبب تداخلات النفوذ الاجتماعي والديني" (١٤).

وتفصّل مصادر صحفية أخرى ذلك على النحو التالي: صعدة ٢٤ مركزاً، عمران ٦ مراكز، حجة ١٢ مركزاً،أمانة العاصمة والمحويت وذمار ٥مراكز في كل واحدة منها، إب وتعز مركز في كل واحدة منهما (١٥).

وقد اتخذ الإعلان في ذلك الحين وما بعده عنوان منتدى الشباب المؤمن.

أهداف التنظيم:

بحسب إفادة الأمين العام الأسبق لتنظيم الشباب المؤمن محمد يحيى سالم عزان فإن الأهداف العامة للتنظيم تتلخص في(١٦):

(١) تعليم الشباب العلم الشريف بمختلف فنونه.

(٢) تنمية ورعاية المواهب الإبداعية لدى الشباب في شتى المجالات.

(٣) إعداد الداعية إلى اللّه ثقافيا وأخلاقياً وروحيا وسلوكيا بما يمكنه من نشر الوعي والفضيلة.

(٤) تعريف الطالب على إخوانه من الشباب وتمتين أواصر الأخوة الإيمانية.

(٥) ترسيخ الوحدة بين المسلمين والبعد عما يثير الخلاف ويمزق الأمة.

ويبدو للباحث أن أحد العوامل الأساسية لقيام تلك المراكز هو الردّ العملي على التحدّي الذي شكّله قيام مركز (دمّاج) السلفي التقليدي في مديرية وادعة القريبة من مدينة صعدة، بإدارة الشيخ الراحل مقبل بن هادي الوادعي (ت:١٤٢٢هـ-٢٠٠١م): رأس الدعوة السلفية في اليمن، مع ما يُعلم تاريخياً من كون منطقة صعدة تمثّل كرسي الزيدية الهادوية في اليمن. وقد عُرف عن الشيخ الوادعي اتسام شخصيته بثقافة سلفية تقليدية هجومية حادّة، ومناظرات تمثلت في جملة إصدارات مطبوعة ككتبه الثلاثة (رياض الجنّة في الردّ على أعداء السنة) و(الطليعة في الرد على غلاة الشيعة)و(حكم القُبّة المبنية على قبر الرسول -صلى الله عليه وآله وسلّم-)(١٧)، وسيل من الأشرطة المركّزة -بوجه خاص- على خصومه الشيعة ولا سيما في محافظة صعدة. وهو ما قاد الطرف الحوثي إلى ردود فعل، بعضها مطبوع، ومن أشهرها كتاب (تحرير الأفكار) للمرجع الزيدي الهادوي بدر الدين أمير الدين الحوثي أبي حسين الحوثي (تضاربت الأنباء حول وفاة الحوثي الأب أثناء الجولة الثانية من الحرب في صعدة، وذلك في شهر ١٦\٢٠٠٥م) الذي خصّصه للرد على بعض كتب الوادعي (١٨)، ولا سيما الكتابان المشار إليهما آنفاً. وقد أفصح عن ذلك في حوار صحفي حين سئل": السلفيون الآن يزداد تواجدهم وكان مركزهم في صعدة، كيف تنظر إليهم؟ فقال:" لقد رديت [هكذا والصواب رددت] عليهم، وألّفت ضدّهم كتباً..."(١٩).

رفع الشيخ الوادعي راية الحملة ضدّ الزيدية والشيعة والمذهبية بصورة عامة؛ مما قاد خصومه هنالك إلى ردّ فعل زيدي عنيف لمواجهته، تمثّل بعضها لاحقاً في تأسيس ما عرف بمنتديات الشباب المؤمن، بعد أن كانت جبهة المواجهة هذه غير قائمة – على ذلك النحو- على مدى نحو عقدين من الزمن تقريباً، أي منذ الإعلان عن الثورة اليمنية في ١٩٦٢م إلى

بُعيد عودته من العربية السعودية في أواخر الثمانينات الميلادية . ويبدو أن للفكر التربوي الذي تمكنّت وزارة التربية والتعليم بمناهجها الدينية التوفيقية المعتدلة، وكذا مناهج المعاهد العلمية وأنشطتها البعيدة عن إثارة الروح المذهبية من زراعته في نفوس الناشئة، أثراً إيجابياً في تحقيق ذلك التصالح والتسامح، إلى أن جاءت استثارة النزعة المذهبية من قبل الدعوة (الوادعية)، إلى جانب إحساس عميق كامن تارة وصريح تارة أخرى في نفوس بعض أبناء المذهب الزيدي هنالك بالقضاء على مذهبهم وضياع تراثهم، واستهدافهم من قبل(الوهابية) القادمة بقوّة من وراء الحدود. وزاد من حدّة الأزمة – كما سيرد لاحقاً– تزامن ذلك مع الإعلان عن انتصار الثورة الإسلامية في إيران، في فبراير١٩٧٩م، وما أعلنته من سعي حثيث لتصدير الثورة، فقاد مجمل ما سبق إلى إعادة الصراع جَذِعاً، وجرّ– من ثمّ– إلى مناصبة كثير من المتمذهبة الزيدية في محافظة صعدة بوجه خاص العداء للفكر السنّي بعامة، بل لقد حدث تراجع محدود لعدد من أبناء الشريحة (الهاشمية)– بوجه خاص– بمن فيهم بعض المنتمين إلى جماعة الإخوان المسلمين–عن المنهج السنّي، لصالح المذهب الهادوي أو (الجارودي)، (و هذا الأخير أقرب إلى المذهب الجعفري الإمامي الإثني عشري في مسألة الصحابة)، إذ يمثّل الوجه الآخر لبعض متمذهبة الزيدية المعاصرين، وذلك بعد أن كان أولئك (المتراجعون) قد غادروا ضيق المذهب والانتماء الخاص، إلى سعة الوسطية ورحابة الإسلام، دون أن يعني ذلك– بالنسبة للباحث– المشايعة لحملة التسفيه والقدح التي يتعرّض لها المذهب الزيدي من قبل بعض دعاة اللامذهبية الجُدد!

المرحلة الثانية: مرحلة المواجهة المسلّحة

ثم تأتي المرحلة الثانية،وهي مرحلة التنظيم المسلّح العلني للشباب المؤمن، أو ما بات يُعرف بجماعة الحوثي، و تبدأ منذ الشهر السادس من عام ٢٠٠٤م، حيث تحوّل التنظيم – أو قسم منه– إلى تلك الميلشيات العسكرية ذات البُعد الأيديولوجي. وقد خاض خمسة حروب مع الجيش اليمني، على مدى يزيد قليلاً عن أربعة أعوام، بدءاً من ٢٠٠٤\٦\١٨م وحتى ٢٠٠٨\٧\١١م، وإن تخللت كل حرب وأختها استراحة محارب، رغم الإعلان الرسمي من الجانبين الالتزام بإيقاف الحرب، مع ملاحظة أن المبادرة عادة ما تبدأ من قيادة الجيش اليمني، حيناً، أو من الرئيس اليمني شخصياً حيناً آخر. ويلفت النظر أن الحرب الخامسة قد توسّع نطاق عملياتها، حيث لم تنحصر في نطاق مناطق صعدة– كما حدث في الحروب الأربعة السابقة–، بل تفجّرت في بعض المناطق ذات الولاء التقليدي للزيدية (الجارودية)، ومن عُمق تلك المراكز (العلمية) التي أنشئت في سنوات سابقة، في إطار نشاط جماعة الشباب المؤمن، ومنها مديرية بني حشيش إحدى أقرب مديريات محافظة صنعاء، حيث قامت بعض عناصر الحوثي بفتح جبهة جديدة هنالك، استنزفت الجيش اليمني كثيراً. ومع ما أعلنه الجيش

لاحقاً من القضاء التام عليها إلا أن من العسير – في نظر بعض المراقبين– الجزم بعدم تجدّد ذلك مستقبلاً، بالنظر إلى إعلانات مماثلة سابقة، في محافظة صعدة، ما تلبث أن ترد مفاجآت تالية تكشف خلافها. ولعل مردّ ذلك إلى التجذّر الأيديولوجي للجماعة، وتداخل الأيديولوجي المذهبي بالسياسي، والاجتماعي بالاقتصادي والتنموي، ثم ما يتردّد عن اختراقات أمنية تحقّقها العناصر الحوثية عبر بعض الشخصيات النافذة في الجيش اليمني، وبعض أجهزة الدولة ومفاصلها. وقد أفصح بدر الدين الحوثي عن قدر من ذلك في رسالة منسوبة إليه بهذا الشأن(٢٠). ولا شك أن للأهداف الانتهازية والمادية الرخيصة أثرها في ذلك، تلك التي لا تجد لها مُناخاً أفضل من مُناخ الأزمات وصناعة الفتن، حيث يثرى فيها تجّار الحروب،وتعلو أسهم ذوي المزيدات.

ولا تزال الأوضاع مشوبة بالتوتّر، ولا تخلو أخبار الاشتباكات المتقطّعة أن تندلع بين حين وآخر، وقد ازدادت في الآونة الأخيرة، على نحو عدّه البعض استهلالاً معهوداً قبيل أي حرب– في إشارة إلى حرب سادسة أسوأ من سابقاتها– لا قدّر الله–! كما لم تخضع حتى الآن بعض المناطق التي انطلقت منها الحركة الحوثية في محافظة صعدة لسلطة الدولة، حسب الأخبار القادمة من هناك، وسيأتي تفصيل أكثر عند ذكر مشاهد المستقبل العسكري .

المبحث الثالث: عوامل الظهور

تشكّل دراسة القوى والعوامل لبروز أية ظاهرة – ومنها الظاهرة الحوثية هنا– ضرورة منهجية للوقوف على مدى التأثير الذي أحدثته تلك المؤثرات في تشكيل الشخصية الحوثية على ذلك النحو.

و يمكن تقسيم عوامل ظهور الحوثية وبلوغها هذا المدى من التأثير والانعكاس على الوضع العام في اليمن إلى عاملين: ذاتي داخلي، انسجاماً مع المنطق القائل: إنه لا يمكن لأية فكرة قادمة من الخارج أن تجد لها قبولاً أو ترحيباً مالم يكن ثمّة استعداد ذاتي داخلي لدى أهلها، وقابلية لاحتضانها ورعايتها. وآخر خارجي طارئ، مع الإشارة إلى أنّه يتعذر الفصل الكامل بين العاملين، كما يتعذّر إطلاق أحكام جزافية غير محقّقة من مثل أن العامل الخارجي هو الأساس، بوصف الفكر الحوثي ليس سوى نسخة مطابقة لما عند الآخرين؛ فالحق أن ثمة تداخلاً لا يخفى على متابع جيّد– كما سيتضح لاحقاً–. ويبدأ الباحث بالعامل الذاتي الداخلي، وذلك على النحو التالي:

أولاً : العامل الداخلي:

١–جذور التشيّع السياسي:

لاشك لدى المؤرخين أن الفرقة الزيدية المشار إليها آنفاً تمثِّل واحدة من فِرق التشيّع، وإن كانت – حسب السائد في الأدبيات السنّية– الأعدل والأكثر قرباً إلى أهل السنّة، من بين فرق الشيعة الأخرى. وإذا غضضنا الطرف عن التراثين الجعفري الإثني عشري الإمامي والزيدي بما فيه الهادوي، من حيث الخلاف الكلّي الشهير بين المذهبين، لتتجه أنظارنا صوب الواقع السياسي –على مدى العقود الثلاثة الماضية تحديداً–؛ فسنلفى تقارباً تلقائياً ملحوظاً بين فرقة الزيدية الهادوية المعاصرة حيناً، والزيدية الجارودية حيناً آخر، وبين الفرقة الأشهر والأكثر اتساعاً وهي الشيعة الإمامة الجعفرية الإثني عشرية، من خلال أرضية التشيّع، ورأسه الإمامة، "التي هي مدار اهتمام فرق الشيعة كلّها، ومحور عقائدهم السياسية" (٢١)، بصرف النظر عن اختلاف طبيعة المذهبين، وفلسفة كل منهما، والموقف التاريخي لكل فرقة تجاه الأخرى.

أجل إن مسألة حصر الخلافة أو الإمامة– على سبيل المثال– من المسائل المشتركة بين الفرقتين الكبريين في العالم الإسلامي وهما أهل السنة والجماعة من جهة والجعفرية الإمامية الإثني عشرية من الجهة الأخرى، من حيث عدم الالتفات إلى معايير العدالة والكفاءة والمساواة والحرية من الأساس لدى الإمامية، إذ تعدّها محصورة في اثني عشر إماماً معصوماً، أولهم علي بن أبي طالب– رضي الله عنه– وآخرهم محمّد بن الحسن العسكري

المختفي– حسب اعتقادهم– في سرداب بسامراء العراق، لحين خروجه، فيملأ الأرض عدلاً، بعد أن ملئت جوراً، وبذلك فهو المهدي المنتظر عندها، في حين لا يلتفت جمهور فقهاء أهل السنة إلى تلك المعايير إلا بعد توافر شرط القرشية أولاً في الخليفة أو الإمام. لكن سيغدو– في نظر الباحث– من قبيل تسطيح الأحداث: استنتاج أن الأمر كذلك بالنسبة للزيدية الهادوية المعاصرة – دعك من الجارودية– في سياق الحديث عن تداخل العوامل الداخلية بالخارجية، حين تحصر حق الخلافة أو الحكم في البطنين (الحسني والحسيني)، في ضوء جملة من المعطيات التي تؤكّد قيام علاقة تأثر معاصرة بالفكر الإثني عشري في بعض الجوانب، وأبرزها الجانب السياسي.

ما يريد الباحث أن يخلص إليه في هذا السياق أن أرضية التشيّع بين المذهبين الجعفري الإمامي الإثني عشري وبين الزيدي الهادوي قد ساعدت على تقارب في الوجهة بين المذهبين في الجانب السياسي – على سبيل المثال على نحو ما سيتم تناوله بقدر من التفصيل عند الحديث عن العوامل الخارجية الطارئة–.

ومع أنه من المقرّرات السائدة في الفكر السياسي الزيدي الهادوي عبر التاريخ مسألة الحصر في البطنين؛ إلا أن ما يتردّد أحياناً من أحاديث، أو يصدر من بيانات من قبل رموز التيار الحوثي، أو الذين يعلنون تعاطفهم مع أطاريح الحوثي ومطالبه، ممن يؤكِّد انتسابه إلى المذهب الزيدي، وإصرارهم على أن تلك نظرية تاريخية، ذات ملابسات خاصّة، وأن الأمة غدت هي صاحبة الاختيار لحكّامها اليوم، من غير تقيّد بنسب ولا عرق، كما ورد ذلك في بيان شهير لبعض علماء المذهب الزيدي عام ١٩٩١م، وعلى رأسهم أحمد بن محمّد الشامي الأمين العام لحزب الحق في ذلك الحين(٢٢)؛ لهو أمر يثلج الصدر حقّاً، مهما قرأ فيه البعض تأكيداً مبطّناً على المشروعية الخاصة، (٢٣)، أو رأى فيه آخرون وخصوصاً في جانبه الأول (الإمامة وشروطها) تحصيل حاصل للمعالجة التي نفذها المؤيدي لهذه القضية أواسط السبعينيات من القرن الميلادي المنصرم(٢٤).

بيد أنه لا يستقيم مع تصريحات واحد من أكبر تلك الرؤوس وهو المرجع الشيعي الزيدي الأعلى بدر الدين أمير الدين الحوثي (والد حسين) ، والرجل الثاني بعد المؤيدي، حين صرّح بمسألة الحصر تلك، رغم محاولاته– في حوار صحفي شهير– تجنّب ذلك، كلما حوصر بسؤال، لكنه اضطر للإعلان بما يعتقد صحته، ولم يقوَ على المداراة، والتعلّق بأهداب نصوص الدستور والقانون.

وإليك نص الحوار المتعلّق بهذا المسألة"(٢٥):

❖ " هل مازلت تعتقد أن الإمامة في البطنين؟

- نعم هي في البطنين إذا كانوا مع كتاب الله، وكانوا مع صلاح الأمة، فهم أقوى من غيرهم في هذا الشأن.

❖ ولكن من هم من خارج البطنين ألا يحق لهم أن يحكموا ، ونحن نحتكم للدستور؟

- يحكم بالدستور نعم ولكن بالعدالة.

❖ حتى وإن كان من غير السلالة الهاشمية؟

- نعم.

❖ أعتبرها فتوى منك، أنه يجوز أن يحكم أيَّاً كان، ولو من غير آل البيت؟

- هناك نوعان: نوع يسمّى الإمامة وهذا خاص بآل البيت، ونوع يسمّى الاحتساب، وهذا يمكن في أي مؤمن عدل،أن يحتسب لدين الله، ويحمي الإسلام ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ولو لم يكن من البطنين.

❖ كيف توفِّق بين هذين النوعين؟

- لا يوجد تعارض لأنه إذا انعدم الإمام يكون الاحتساب.

❖ وفي ظل وجود الإمام؟

- هذا يكفي لأن الإمام هو أقوى على القيام بحماية الإسلام وإصلاح الأمة.

❖ كيف نوفق بين كلامك بضرورة وجود إمام وبين الاحتكام للدستور الذي يقوم على أسس الاختيار الديمقراطي؟

- ما نقدر نوفق بينهم، ولا إلينا منهم(أي لاعلاقة لنا بذلك التوفيق بين الأمرين).

❖ الديمقراطية في الانتخابات : كيف تنظر إليها؟

- الانتخاب والديمقراطية طريقة **لكن الإمامة طريقة ثانية؟**

❖ أيهما ترجّح أنت أو تفضّل ؟

- إذا كانت الإمامة صحيحة وشرعية على ما يقتضيه القرآن والسنّة هي الأفضل من كل شيء .

❖ هل أنتم مع الديمقراطية؟

- نحن مع العدالة ولا نعرف الديمقراطية هذه.

❖ ولكن ولدك وصل إلى مجلس النواب عن طريق هذه الديمقراطية، وليس لأنه من آل البيت أو هاشمي؟

- نعم نحن لا نعرف إلا اسم العدالة".

لقد أعاد هذا الحوار إلى الذاكرة جانباً من ذلك الجدل الفكري والسياسي الذي أعقب ظهور الوحدة اليمنية المباركة عام ١٩٩٠م،حول بعض جوانب الفكر السياسي الزيدي، إذ رأت

إحدى الباحثات في غياب أيّ من أسماء علماء المذهب بصعدة وتوقيعاتهم في ذلك الحين، عن الأسماء الموقعة على البيان المشار إليه آنفاً، تعبيراً عن رفض علماء صعدة – وفي مقدّمتهم مجد الدين المؤيدي: رئيس الهيئة العليا للحزب ونائبه: بدر الدين الحوثي – لفحوى البيان ومنطوقه، وهو ما يمكن تفسيره – وفقاً لهذه الوجهة– بأنه تعبير عن التمسك بأحقية آل البيت في الحكم، وعدّ البيان تراجعاً كبيراً عن الإطار الفكري للزيدية(٢٦).

وتؤيد الباحثة رأيها ببعض المراسلات التي جرت بين العلامة أحمد الشامي والعلامة المؤيدي، وبتأخر إقرار مشروع أهداف حزب الحق (الإطار السياسي لأغلب الزيدية في ذلك الحين)، حيث تضمنت التمسك بالنظام الجمهوري بشرط تطبيق مبدأ الشورى والنهج الديمقراطي الشوروي في شئون الحكم والإدارة، وترسيخ مبدأ تداول السلطة. وحدد المشروع شروط من يتولى الرئاسة بالشروط الاكتسابية التي تشترطها الزيدية فيمن يتولى الرئاسة. مع تأكيد الحزب على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الإطار الفكري والأساس العقائدي لنشأته(٢٧). وصحيح أن بعض الباحثين يذهب في قراءته لبعض تراث مجد الدين المؤيدي إلى حدّ الاستنتاج بأن إشكالية النسب وشرط " البطنين": قد تجاوزها المؤيدي ضمن نظرية الإمامة منذ وقت مبكّر في كتابه " التحف" – مثلاً –حيث جعل المسألة– بنظره– " مسألة استدلالية " وليس ضرورة من "ضرورات الدين" ، مستشهداً بالفعل التاريخي للزيدية، حيث كانوا يتعاملون مع من تولى الحكم من غير العلويين " وسار بالعدل وأقام أحكام الشريعة؛ أحسن المعاملة ، كعمر بن عبد العزيز، وإنما يجاهدون من جار وظلم المسلمين" (٢٨، ولكن هذا الاستنتاج يصطدم بحقيقة أظنها أكثر وضوحاً من الاستنتاج الذي يشير إليه هذا الباحث ، وتلكم هي أن تقريض كلٍ من مجد الدين المؤيدي وبدر الدين الحوثي لكتاب العلامة علي عبد الكريم الفضيل شرف الدين (الزيدية: نظرية وتطبيق)، قد خلى من أي تحفّظ على هذه المسألة، رغم خطورتها، ولم يبدِ أيّ منهما أيّ تحفظ أو استدراك، على ما ورد في الكتاب بهذا الشأن، رغم ورود التأكيد على اشتراط البطنين عند الزيدية في غير ما موضع من الكتاب(٢٩). ولك أن تتأمل انحصار تقريض المؤيدي بعد الإشادة بالكتاب في صورة نظم من الأبيات، على نقد جرئ وصريح للمؤلّف في مسألة التسمية بالزيدية والنسبة إليها: هل أطلقها الإمام زيد على أتباعه، وأطلقوها على أنفسهم؟ أم أطلقها حكام بني أمية على كل ثائر عليهم بعد الإمام زيد، من أهل البيت النبوي الشريف؟! فعلى حين يؤكّد المؤلّف الثانية؛ يذهب المؤيدي عبر خمس صفحات (هي كل تقريضه) إلى نفي ذلك، مدلّلاً على أن التسمية بالزيدية أطلقها أهل البيت الذين انتسبوا إلى الإمام زيد على أنفسهم(٣٠). كما لم يبدِ بدر الدين الحوثي أيّ تحفظ على الكتاب لا في هذه المسالة ولا في غيرها، بل صرّح بأن كتاب شرف الدين هو " الكتاب المفيد الذي يصلح اعتماده لمعرفة المذهب الزيدي، وللحصول على الفائدة العظيمة

في علم أصول الدين، بتصحيح العقيدة، ودفع الشبه القديمة والجديدة، مع ما فيه من تهذيب العبارة، وأسلوب الكلام المرغوب في هذا العصر" ثم قرضه شعراً (٣١). ولذلك فقد أحسن الباحث المشار إليه حين صرّح بأن استنتاجه السابق عن المؤيدي بعدم اشتراط البطنين عبارة عن استنتاج من خلال الممارسة السياسية للمؤيدي –لا أنّه قد عمد في ذلك إلى نص صريح في تراث المؤيدي– بل يقرّر أنه "ما من نص أو رأي علني أطلقه المؤيدي بهذا الخصوص ، لكنه استنتاج خاص من قراءتي لطبيعة الحراك الذي قاده منذ العام ٩٠ . إنه الحراك الذي تُرك هامشه فقط للنشاط السياسي والحزبي ، فيما انصرف بحيوية أكبر نحو المناشط الدينية التعليمية(٣٢). ومن ثم فسيظل إشكال غياب أي من رموز الزيدية في صعدة من البيان التاريخي للزيدية مثار تساؤل واستغراب، ومبعث فرضيات يصعب القطع بواحدة منها!

وبعيداً عن تعميم الرأي الوارد في الحوار السابق مع بدر الدين الحوثي على كل أتباع المذهب الزيدي؛ فإن الحوار يمثّل مصدراً هاماً في معرفة منهجية الفكر السياسي الحوثي، إذ يقدّم المرجع الشيعي بدر الدين الحوثي فكرة الاحتساب، وهي فكرة أقرب ما تكون إلى ولاية الفقيه– وإن لم يقصد حقيقة هذا المدلول وأبعاده ومآلاته بالضرورة– تلك التي أتى أخرجها الإمام الخميني إلى واقع التطبيق، للخروج من السلبية التي ظلت ترزح تحتها الإمامية الإثني عشرية طيلة تاريخها المديد، حيث عطّلت الحياة، فلا إقامة صلاة جمعة، ولا جهاد. وفقدت قوانين الحكومة الإسلامية مجال تطبيقها، في ظل غيبة الإمام (الشرعي) الثاني عشر، فارتأى الخميني أن يقدّم نظريته المعروفة بـــ(ولاية الفقيه)، ليتمكن مذهبه من التفاعل الإيجابي مع الواقع السياسي والاجتماعي، عوض الانكفاء الداخلي إلى حين يخرج الإمام الغائب من سردابه، وليس ثمّة تاريخ محدّد لذلك! ومهما يكن في ذلك من معالجة مؤقتة لمشكلة تاريخية ودينية مؤرقة، سواء لأتباع الإثني عشرية أم الهادوية القائلة بحصر الإمامة في البطنين؛ فإن ذلك لايعدو إجراء استثنائياً لا يغيّر من حقيقة أن الأصل هو الحصر في اثني عشر إماماً عند الإثني عشرية، أو البطنين عند الزيدية الهادوية، وفي ذلك إشكال حقيقي عبّر عنه العلامة الحوثي بقوله "الانتخاب والديمقراطية طريقة **لكن الإمامة طريقة ثانية**". بل أجاب في موطن لاحق من الحوار ذاته إجابة ذات دلالة جليّة حين سئل :"أنت كمرجع شيعي موجود : هل تقرّ بشرعية النظام القائم؟" فأجاب:" **ما علينا من هذا الكلام لا تحرجني**"(٣٣).

إن الاحتساب وإن كان مسألة معروفة عند الزيدية في ظل غياب الإمام المؤهّل ، لكنه إجراء اضطراري مؤقّت، لايغيّر من حقيقة القاعدة الوراثية شيئاً يذكر، حتى إنه لـــ" يجب على المحتسب أن ينعزل عند ظهور الإمام، لأن الإمامة رئاسة عامة لشخص في الدين والدنيا. والفرق بين المحتسب والإمام أن الإمام يختص بأربع خصال: إقامة الجمع، وأخذ الأموال

كرهاً، وتجييش الجيوش لمحاربة الظالمين، وإقامة الحدود على من وجبت عليه، وقتل من امتنع من الانقياد لها. والمحتسب لا ولاية له على شيء من أموال الله – سبحانه وتعالى– ، ولا يجوز قبضها إلا أن يأذن له أربابها، ويأمرون بذلك"(٣٤).

والباحث وإن كان لا ينازع في أن بعض الاجتهادات التاريخية لدى السنة والشيعية – على حدّ سواء– مما فرضته أحداث أو وقائع تاريخية معيّنة، تدفع الفقهاء الواعين،من الفئتين، لأخذ العبرة منها، لا الدعوة إلى إحيائها وإعادتها جذِعة اليوم، وكأننا لانعتبر، بل نريد أن يعتبر بنا الجيل القادم– لا قدّر الله– بيد أن حديث المرجع الزيدي الأعلى عن أمر الولاية بهذا الوضوح والصراحة مما لا يجوز التقليل من شأنه، بوصفه مرجعاً دينياً لايصدر أتباعه في أي من حركتهم العبادية أو السياسية التي تثير الجدل أو النزاع إلا وقد اطمأنوا إلى موافقته على ذلك.

من هنا يتفهم الباحث ذلك الحرج البليغ الذي أوقع بدر الدين الحوثي أولاده وأتباعهم فيه بعد هذا الحوار، مما دفع ولده عبد الملك ليبعث رسالة إلى رئيس الجمهورية –بعد نشر حوار والده وما أحدثه من تداعيات سلبية على الفكر الحوثي ودعاته أمام الدولة والنخبة وعموم المتابعين– حتى من المتعاطفين مع حركته– يؤكّد فيها التزامه وحركته بالنظام الجمهوري والدستور والقانون، وأن ما صدر عن والده في حوار صحيفة الوسط إنما هو حديث عن نظرية زيدية ،دون أن يقصد السعي من وراء ذلك إلى تحقيقها على أرض الواقع، نظراً لخطورة المرحلة. وأبدى استعداده وأتباعه لمد يد السلام والوئام إلى الرئيس(٣٥). كما نوّه في آخر رسالته إلى أنه– أي عبد الملك– كان قد أرسل تعقيباً على مقالة والده نشرها في صحيفة الوسط ذاتها، بعنوان (المرحلة ليست مرحلة الإمامة) (٣٦).

والقصد من وراء إيراد ما تقدّم إدراك أن المكوّن الفكري السياسي للفكر الحوثي ينطلق من الاعتقاد بقيام مشروعية داخلية على نحو ما جرت الإشارة إليه فيما تقدّمً.

٢– التكوين العلمي والفكري الأيديولوجي :

من منطلق اعتقاد الفكر الحوثي بمشروعية سياسية خاصة، جاءت نتاج بيئة علمية وتربوية خاصة؛ فإنه قد عمد إلى محاولة تنشئة أتباعه تنشئة تعتمد على بعض الموروث في الجانب الذي يمنحها تلك المشروعية، وإن لم يُعلن عن ملامح تلك التنشئة وبعض تفاصيلها إلا في وقت لاحق. بل إن المفارقة لتبدو في كون حسين الحوثي ووالده بدر الدين ورفيق دربه عبد الله الرزامي وآخرين، من أمثال المؤسس الأول لتنظيم الشباب المؤمن : محمّد يحيى سالم عزان كانوا يداً واحدة –حسب رواية الأخير– بداية الأمر، تجاه بعض الأفكار المتشدّدة المنصوص عليها في بعض الموروث، غير أنها كانت محلّ نقد وتحفّظ من قبل المرجع الشيعي الأعلى مجد الدين المؤيدي(ت:١٨\١١\٢٠٠٧م)، مما جعلهم جميعاً يسعون إلى إقناعه

لرفع ذلك العتب والتحفظ عن مناهجهم الجديدة بعد أن راجعها وصادق عليها بدر الدين الحوثي (٣٧).

لكن سرعان ما نشب خلاف بعد ذلك بين طرفين أحدهما يتزعمه حسين الحوثي والآخر يتزعمه محمد سالم عزان . وفي هذا يقول الأخير: "والخلاف كان بين خطّين: خط يؤيد الانفتاح على الآخر والحوار والتجديد في الفكر وهذا كان يمثله ٤ من الإدارة وأنا منهم، والخط الآخر يميل إلى إعادة استهلاك الموضوع الثقافي والفكري والتركيز على القضايا التقليدية القديمة، وفي ظل هذا الخلاف والتوتر قالوا لا بد من توسيع الإدارة، ويومها انضموا إلينا مجموعة ومن ضمنهم حسين بدر الدين الحوثي" (٣٨).

ويصف عزان حسين الحوثي بأنه كان فرداً عادياً في إطار منتدى الشباب المؤمن الذي تأسس عام ١٩٩٠م، "كأي فرد، ولم يكن عضواً في التنظيم حتى عام ٢٠٠٠م، ففي ٩٩م جاء حسين بدر الدين من السودان في ظل ظروف وملابسات معيّنة، وكان هناك توسع في المراكز. وقد ظهرت بعض الخلافات حينها. وكان هناك رأي بتوسيع دائرة الإدارة وكانت مكونة من ٦ أشخاص هم :محمد بدر الدين الحوثي، عبد الكريم جدبان، علي أحمد الرازحي، صالح أحمد هبرة، أحمد محمد الهادي، محمد يحيى سالم عزان"(٣٩). كما يصفه بأنه كان من التقليديين(٤٠). ومنذ العام ١٩٩٩ بدأت" المراكز تصنف إلى فريق معتدل وفريق تقليدي، حتى داخل المركز الواحد كان هناك تصنيف على هذا الأساس. وفي عام ٢٠٠٠م انفصلت المراكز وبدأ الاستقلال واستمرينا [هكذا والصواب واستمررنا] على أهداف وأدبيات الشباب المؤمن، بينما حسين بدر الدين والآخرون الذين انضموا إليه واصلوا في الجهة الأخرى، غيّروا الأهداف".(٤١).

وواضح لمن يتتبع خطاب حسين الحوثي بعد تلك المرحلة (مابعد ٢٠٠٠م) أن هذا التغيير الذي يشير إليه عزان قد شمل التكوين الكلي بأبعاده النفسية والتربوية والفكرية والسياسية، لشخصية حسين الحوثي، إذ لم يعد مقلّداً للمذهب الزيدي، ولا متابعاً تقليدياً لآراء فقهائه، كما لايمكن – في الوقت ذاته– استنتاج أنه غدا نسخة مستعارة من الفكر الإثني عشري الجعفري– كما يتردّد في الوسط السنّي كثيراً وستأتي مناقشة ذلك لاحقاً– بل غدا خطابه الفكري الموجّه نحو أتباعه ذا روح انتقائية ثورية متمرّدة، تبدأ من نقد الآخر المذهبي كأهل السنة عامة(٤٢). ووصفهم بأنهم جميعاً لايخيفون اليهود، بل الشيعة من يفعل ذلك، (٤٣) أو الوهابية –كما يصفها–(٤٤)، أو ابن تيمية من القدماء، (٤٥)، والزنداني من المعاصرين(٤٦)، إلى نقد المذهب الزيدي بل اتهام الزيدية –ولا سيما المعاصرة منها– بأنها لاتقل سوءاً عن

(المجبِرة) في باب تأويل بعض آيات الصفات(٤٧). وفي حين أشاد بتعلّم اللغة العربية لمعرفة القرآن الكريم فإنه قد شن حملة شعواء على علمي أصول الفقه، وعلم الكلام، حيث نفى أن تكون معرفة القرآن متوقفة على أصول الفقه، بل وصفه بأنه "فنٌ يضرب القرآن ضربة قاضية، يضرب القرآن ضربة شديدة، يضرب فطرتك، يضرب توجهك نحو القرآن، يضع مقاييس غير صحيحة، تدخل إلى القرآن والقرآن بشكل آخر؛ ولهذا نجد أنفسنا كيف أن القرآن لم يعمل عمله فينا، لم يستطع القرآن، لأننا وضعنا عوائق أمام فهمنا لـــه ، أمام اهتدائنا به، أشياء كثيرة حالت بيننا وبين أن نفهمه، وبالتالي قتلناه، وأصبحنا أمة ميتة، أصبحنا أمة ميتة ، أسأنا إلى أنفسنا ، وأسأنا إلى القرآن الذي هو أعظم نعمة من الله علينا"(٤٨).

امّا علم الكلام(القواعد العقلية في معرفة العقيدة) فنجده يشنّع عليه أبلغ تشنيع، لأن علماءه– من وجهة نظره– لم يعتمدوا القرآن والفطرة في دراستهم للعقيدة، بل اعتمدوا الفلسفات اليونانية، فتجدهم يعانون من ضعف الخشية لله. ونقل عن القاسم بن إبراهيم(أحد أئمة الزيدية) قوله:" ما خشع متكلّم لله". كما ضرب المثال في ذلك بابن تيمية الذي اعترف بغزارة علمه ومعرفته الواسعة، لكن إغفاله الأسس القرآنية في دراسة التوحيد، وتأثره بثقافة معيّنة، وبسبب عدم اعتماده على مطلوب القرآن الكريم، وبسبب الضعف في تحقيق لإله إلا الله، جعله يخرج بآراء وصفها بالغريبة الشاذة(٤٩).

سبب التمرّد:

إن هذه الروح المتمرّدة في خطاب الحوثي تُعزى – في تصوّر الباحث– إلى سببين جوهريين:

الأول: كونها مخرجاً تلقائياً للتربية الزيدية الهادوية الأولى، تلك التي تعلي من قيمة النظر العقلي، وتمنح المرء الحق في الاجتهاد إذا ما بلغ الرتبة التي تؤهله لذلك، ولعل حسين الحوثي قد رأى في نفسه أهلاً للاجتهاد ، والخروج– من ثمّ– عن بعض الآراء السائدة في المذهب الزيدي ، وهو ماجلب عليه سخط أبرز علماء المذهب، حيث حذّر أشهر رموزه في ختام بيان أصدروه بهذا الشأن، ويحمل أسماءهم وتوقيعاتهم مما وصفوه بـــ" ضلالات المذكور(أي حسين الحوثي) وأتباعه، وعدم الاغترار بأقواله وأفعاله،التي لا تمت إلى أهل البيت وإلى المذهب الزيدي بصلة، وأنه لا يجوز الإصغاء إلى تلك البدع والضلالات ولا التأييد لها، ولا الرضا بها، (ومن يتولهم منكم فإنه منهم)، وهذا براءة للذمّة، وتخلّص أمام الله من واجب التبليغ"(٥٠). ومع أن الأمين العام الأسبق لتنظيم الشباب المؤمن محمّد سالم عزّان الذي اختلف مع وجهة الحوثي وافترقا إلى طرفين –كما تقدّم– يقرّ أن هذه الجماعة تنتمي في الجملة إلى الزيدية، إلا أنّه يشايع بيان علماء الزيدية السابق حين قال في حوار صحفي " ...ولكن

الأفكار التي قامت الفتنة على أساسها غريبة على مذهب الزيدية، ولذلك لم يُقرها علماء الزيدية، ولم يشاركوا فيها، بل حذروا منها ونصحوا بتجنبها"(٥١).

وقد حاول – على سبيل المثال –شقيق حسين الحوثي الأكبر محمّد التقليل من شأن ذلك الجدل حول العلاقة بالمذهب، في معرض إجابة له على سؤال بهذا الشأن قائلاً:" هناك بعض المسائل التي يعتبرها البعض من علمائنا مسلّمات لا جدال فيها كمسألة الاجتهاد، وعلم الكلام ، ولا نعني به أصول الدين،ونحوها، ولم يكن الأخ حسين أولّ من تكلّم فيها، بل أولئك العظماء من قدماء أئمة أهل البيت عليهم السلام،كالإمام القاسم الرسّي، والإمام الهادي محمّد بن القاسم، وغيرهم، ومن فتشّ كتبهم عرف ذلك. مع أنه قد لا يوجد عالم من علماء الزيدية إلا وله نظرة في موضوع ما تخالف المذهب...إلخ" ونصح بقراءة ملازم حسين ، والاستماع إلى محاضراته، والحوار والتفاهم. وحين وجّه إليه سؤال آخر حول أن بعض علماء الزيدية الذين يرون مخالفة حسين للمذهب، يتهمونه وأتباعه بالدعوة "إلى إزالة الإطارات المذهبية، والمسميات الطائفية، كونها سبب ضعضعة الإسلام. فهل يعني هذا أنّكم بصدد إنشاء مذهب جديد، أم بصدد إنشاء مشروع غير متحقّق في نظر البعض، لإقامة وحدة إسلامية بلا مسمّيات؟" أجابه بالقول:" نحن ندعو للالتفاف حول القرآن الكريم، وتحكيمه فيما اختلفت الأمة فيه، وتوحّد الأمة لا يكون إلا على منهج علمي وهو الجهاد، في سبيل الله ضدّ المستكبرين في الأرض... أما عن شطر السؤال الأخير، فنحن لم نأت بجديد، حتى يتصور أحد أننا بصدد إنشاء مذهب جديد، وفي المذاهب الموجودة كفاية، وكل ما قاله الأخ حسين مما يستغربه البعض قد قاله غيره كما أسلفنا، وهو في كتب قدماء العترة الطاهرة، وإنما مشكلة البعض هي عدم الاطلاع، خاصة على كتب قدماء أهل البيت عليهم السلام" (٥٢).

والحق أنه مما يستأهل التأمّل الطويل ذلك التركيز اللافت للحوثية على مصدرية القرآن الكريم، بما يومئ أحياناً إلى ما يشبه الاقتصار عليه وحده،بعيداً عن مصدرية السنة النبوية،غير أن مثل هذا الاستنتاج يتعارض – على المستوى العملي– مع الاستناد بين حين وآخر إلى مصدرية السنّة النبوية أو الحديث الشريف ، مادام مروياً عن طريق أئمة أهل البيت ورجالهم.

الثاني: والسبب الثاني يعود إلى أن جزءاً لا يتجزأ من تكوين حسين الحوثي الفكري والسياسي نابع في الأساس من الفكر السياسي الزيدي الذي يعدّ الأصل الخامس عنده هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن مستلزمات الإيمان به الرفض والتمرّد والعصيان بل المحاربة والثأر على كل حاكم يُعتقد فسقه وفساده(٥٣). ولعل من مظاهر ذلك –على سبيل المثال– ما ورد في سياق حديث حسين الحوثي – عمّا وصفه بمحاولات تعميم وزارة الأوقاف والإرشاد (اليمنية) لثقافة طاعة ولي الأمر أيًا ما كان مسلكه(٥٤).

لقد أضحى الرجل صاحب حضور لافت في بيئته وخارجها، لأسباب مختلفة لعل في مقدّمتها تلك النزعة الثورية المتمرّدة، في واقع اجتماعي وسياسي بائس . هذا ناهيك عن امتلاكه خطاباً جذّاباً في أسلوبه، غير معهود –عادة– في الأوساط التقليدية، وفي مثل بيئته بوجه خاص؛ مما قدّمه شخصية (كارزمية) خارقة للعادة. ومن يتابع أطاريحه الشفهية – على سبيل المثال– لا يمكنه إلا أن يقرّ أن الرجل يأسر الفرد العادي بخطابه، إذ يسعى حثيثاً بكل الأساليب الممكنة للإقناع بفكرته، وفق منهج علمي– أيّاً اختلف معه المرء أو اتفق– مستخدماً أسلوب المثال والاستشهاد والمقارنة ، ومعمّداً لذلك كلّه بشعاره المصيري (الله أكبر، الموت لأمريكا ، الموت لإسرائيل، اللعنة على اليهود، النصر للإسلام) – وسيأتي الحديث المفصّل عن الشعار في سياق الحديث عن العوامل الخارجية –.

ومما يستوقف الباحث في فلسفة التربية الحوثية –بوجه خاص– مدى التمكّن التربوي الأيديولوجي الذي استطاع حسين الحوثي أن يزرعه في نفوس أتباعه حتى إن الأخبار التي كانت ترد من أرض المعارك لتفيد بأنهم كانوا في البداية– على وجه التحديد– لايفرّون من المعركة، ويستقبلون الموت بصدر رحب، اعتقاداً منهم بالوعد (المقدّس) والنصر الأكيد. كما أنهم كانوا يرفضون الموافقة على أيّة رؤية أو فكرة تطرح من بعض المرجعيات الزيدية العليا التي سعت عبر ما عُرف بلجنة الحوار التي قادها القاضي حمود الهتار مع المعتقلين في السجون الأمنية، لثني أولئك الشباب عن أفكارهم (الحوثية)، وعبثاً حاولت، إذ كانت الأيديولوجيا الحوثية قد تغلغلت في أعماقهم، بحيث كان لسان المقال– بحسب رواية بعض أعضاء لجنة الحوار – يردّ على كل تلك المرجعيات بالقول:(لانتراجع حتى يأذن لنا سِيدي حسين) أو نحو ذلك !. هذا مع الإشارة إلى أن جانباً من تلك الحوارات وإجابات الحوثيين قد تمت بعد مقتل زعيمهم حسين الحوثي، غير أن بعضهم كان يشكّك بحقيقة ذلك، والأغرب أن أباه بدر الدين يشارك أولئك المتشكّكين تشككهم (٥٥). كما رفض أيّ من المعتقلين الموافقة على الخروج من السجن بناء على تعهّد يضمن للجهات الأمنية، عدم قيامهم بترديد الشعار الحوثي الشهير(الله أكبر...الموت لأمريكا...).

٣– الخلافات الداخلية:

يبدو أن مما عجّل بظهور تنظيم الشباب المؤمن على ذلك النحو، وإحداث تغييرات (دراماتيكية) قفزت بأحد طرفيه إلى السطح، ومن ثمّ إلى تبني الخيار المسلّح– أيّاً كانت تبريراته– احتدام الخلاف الداخلي بين مؤسسيه، وبلوغه ذروة الشقاق، حتى تمايز الطرفان، وانتهى الأمر بسيطرة فعلية كاملة لجناح حسين الحوثي. وليس بين يدي الباحث سوى رواية الأمين العام الأسبق محمّد يحيى سالم عزان، ويمكن تلخيص روايته بأن بداية الخلاف بدرت

حين أبدت بعض المرجعيات التقليدية الكبرى كمجد الدين المؤيدي تحفظها على بعض ما يدرّس في تلك المنتديات ، بوصفه خارجاً عن السائد في المذهب الزيدي، وتسبّب في (مسخ) الشباب تحت لافتة الانفتاح والتجديد، مما أدى إلى إيقاف الدراسة دورة واحدة، استأنفت بعد تدخل العلامة بدر الدين الحوثي ومراجعته لتلك المقرّرات، وإقناع المؤيدي بسلامتها، غير أن الخلاف كان قد اشتهر حتى وصل إلى رئيس الجمهورية، الذي قابل الأمين العام عزان، وبعض رفاقه وفي مقدّمتهم حسين بدر الدين الحوثي وعبد الله عيظه الرزامي اللذين كانا عضوين في مجلس النواب آنذاك (عن حزب الحق) (٥٦).

ويحدّد عزان عام ١٩٩٩م لبروز الخلاف بين المجموعة المؤسسة نفسها حول ما ينبغي التركيز عليه أكثر، حيث كان كانت مجموعة يتقدّمها عزان، يرجحون أولوية التركيز على التوسع في الجوانب العلمية، ودراسة الموروث الفكري بجرأة، والإجابة على تساؤلات الطلاب حول المسائل الخلافية بحرية. بينما كان الفريق الآخر ويتقدّمهم محمد بدر الدين يميلون إلى التركيز على جانب العلاقات بين الطلاب، والتربية الروحية، والتقييد بالموروث الفكري وتأكيد العلامات الفاصلة بين المذاهب.ثم تدخل حسين بدر الدين الحوثي أواخر عام ٢٠٠٠م لصالح طرف شقيقه محمد، أي لترجيح فكرة تقديس الموروث، والكف عن التحديث والانفتاح، واعتبر ذلك خطراً ومفسداً لأتباع المذهب. وهنا يقول عزّان: "وبعد جدل وحوار دام عدة أشهر اضطررنا إلى توسيع إدارة المنتدى بحيث شملت: حسين بدر الدين، ويحيى بدر الدين، وعبد الله الرزامي وآخرين. ولكن لم تستمر تلك الإدارة إلا عاماً واحد ثم انفرط عقدها، حيث كان الخلاف في أواخر عام ٢٠٠١م قد قسم الساحة بشكل بيّن، ولم يكن حسين قد أعلن عن توجهه الجديد، إلا أنه كان يصر على الإعلان عن أنه لم يعد هنالك ما يعرف بالشباب المؤمن، ولكننا رفضنا ذلك، وأكدنا تمسكنا بهذا الاسم وبالأهداف التي وضعناها من قبل، والمنهج الذي سرنا عليه فكرياً وثقافياً وسلوكياً. وأطلقت علينا التهم وأصدرت التحذيرات عن مراكزنا، وعرف الخلاف في كل مكان حتى كادت أن تقع بيننا وبينهم مواجهة في بعض مناطق خولان وسحار، ولكننا استمرينا(هكذا والصواب استمررنا) على نهجنا واستمروا على نهجهم حتى وقع التمرد وأشعلت الفتنة الاولى"(٥٧).

وقال في سياق مماثل:

"وكان خلافنا قد اشتهر حتى وصل إلى فخامة رئيس الجمهورية، وذهبنا إليه فاستقبلنا مشكورا، وشرحنا له موقفنا وأهدافنا وأكدنا له أننا لم ولن نمد أيدينا للخارج وأننا ننتمي للداخل، وليس لنا مرجعية إلا إلى اليمن، وكان معنا في الزيارة كل من: حسين بدر الدين، وعبد الله الرزامي، باعتبارهم كانوا يومها أعضاء في مجلس النواب وكانوا من مؤيدينا" (٥٨).

ولكن يبدو أن الوضع لم يستمر على حاله إلا قليلاً، حتى انتقل الخلاف من كونه بين عــزّان وبدر الدين وحسين الحوثي ومن معهم من طرف وبين مجد الدين ومن يتابعه مــن الطــرف الآخر إلى خلاف بين عزّان وجمع من أتباعه، و بين بدر الدّين وحسين . وبحسب تصــريح عزّان فإن بداية منازعة حسين له في شأن توسيع دائرة المؤسسين، نظــراً لاتســاع دائــرة العمل، يعود إلى الفترة التي عاد فيها الأخير من السودان، فقبل تحت ضغوط بعــض الآبــاء أمثال بدر الدين ومحمّد الهادي، لاسيما أنهم كانوا خارجين للتو من مواجهة مع مجــد الــدين المؤيّدي، امتدّت لنحو ثلاث سنوات، وفي أثنائها تم " إصدار أشرطة وفتاوى وشــبه إهــدار دماء، وعندنا وثائق وصور وأشرطة بهذا الخصوص". ثم أشار إلى بعــض المراكــز التــي استولى عليها الطرف الموالي لحسين الحوثي مثل ٧ مراكز في خولان من أصل ٩،وواحــد في همدان، وبعض مراكز في حجّة، في مدان، ومناطق أخرى.ثم أعقب بالقول:" وبهذا صرنا منفصلين مالياً وإدارياً، وكان هناك نــوع مــن التنــافس والتنــافر والمواجهــة والفتــاوى المضادّة..."(٥٩).

ولا يستبعد الباحث أن مما عزّز من ذلك الخلاف حصول دعم مالي رسمي للتنظيم، هدفه المعلن تعزيز الاتجاه المعتدل بين الفصائل (الدينية). وقد صرّح بذلك الرئيس علي عبد الله صالح في خطابه أثناء اللقاء مع العلماء المصنّفين على المذهب الزيدي حيث قال:" سارت الأيام وجاءت المظاهرات على السفارة الأمريكية بداية غزو العراق، وإذا ما يسمّى بالشباب المؤمن في مقدّمة الصفوف، فعاتبنا الكثير من القوى السياسية بأن هذا لايخدم مصلحة اليمن وقلنا لهم : إنكم بذلك تجرّون علينا المشاكل، فقالوا: هؤلاء الشباب حقّك الشباب المؤمن شباب الرئيس، أنت الذي نظمتهم. صحيح أن هناك مجموعة من إخواننا من هنا ومن هنا، قالوا هؤلاء الشباب مؤمنين ومعتدلين[هكذا والصواب مؤمنون ومعتدلون]، ولا يريدون أن يكون لهم ارتباط خارجي مع أية فئة خارجية، فيريدون دعم الدولة، ويبتعدون عن الارتباط أو التبعية الخارجية. وقدّمنا لهم الدّعم. ويعرف الأخ عضو مجلس النواب عبد الكريم جدبان، وأخذوا هذا الدعم على أنّهم شباب مؤمن فقط، إنه إيمان بالله ، معتدلين[هكذا والصواب معتدلون] ووسط، غير متعصّبين، تعصّب متطرّف، أو أيّ تعصّب آخر مذهبي "(٦٠). ويصرّح بذلك الأمين العام الأسبق لتنظيم الشباب المؤمن محمّد يحيى سالم عزّان في بعض حواراته حين قال في بعضها:" وفي الأخير جاءتنا مساعدة من فخامة رئيس جمهورية –رعاه الله– فسدّت كثيراً من حاجاتنا، وذلك معروف منه لن ننساه، ولن ننكره وإن التبس أمرنا فالأيام كفيلة بكشف ما غُيّب" (٦١).

ولكن يلاحظ أن هذا الدعم قد اقتصر على طرف دون الطرف الآخر، حيث يقول عزّان في هذا:" الرئيس حينما ظهرت المشكلة بيننا وبين الوالد مجد الدين في صعدة واشتهرت أن

هناك مشاكل وتحزّبات استدعى الطرفين، فقابل الرئيس مجد الّدين وأصحابه وسمع كلاماً عنّا، ربما مجمله هو أن هؤلاء الشباب طائشون، واستدعانا الرئيس بطبيعة الحال، وشرحنا له منهجنا وكتبنا، وقلنا له بأننا نريد أن نخرج صعدة من حالة العزلة القاتلة التي هي فيها، ونريد أن ننفتح على الآخرين، ونريد أن يعرف الناس أن في الدنيا غيرهم، وأنه يوجد مذاهب أخرى، وأنه يوجد ناس آخرون، ورؤى مختلفة، وأنه بالإمكان احترام الآخرين إلى آخر ما هنالك. الرئيس في الواقع أعجبه الطرح وقال:" هذا خلاف بين عقليتين وجيلين وهو طبيعي". وربما كانت قد وصلته تقارير من المحافظة، لأننا كنا نستدعى من المحافظ ومدير الأمن والناحية، ليحضروا ويقيّموا في حالة ما إذا كان خطأ في مسيرتنا، فكانت العلاقة علاقة رضا"(٦٢).

ثم سئل عزّان:" هل خرجتم من عند الرئيس باتفاق على دعمه لكم؟" فأجاب بما حاصله أنهم الجماعة الوحيدة في البلاد التي ليس لها أيّ مساعدة. وأنهم كانوا يوضحون لمن يدعمهم من فاعلي الخير أنه إذا لم يتم دعمهم فربما مدّوا ايديهم إلى الخارج ؟ فسئل:" وبدأ الدعم المالي؟" فقال:" نعم . دعم مالي فقط ومحدود ".

–كم كان هذا الدعم بالتحديد ؟

– أربعمائة ألف ريال شهرياً ، مقابل العمل الواسع جدّا جدّا، وكنا نتقشّف، إلى درجة أن الذين كانوا يريدون إنشاء مراكز، كنا نقول لهم أن يتكفلّوا ب٨٠% من التكلفة؟ "(٦٣).

ومع أن بعض الباحثين يذهب إلى أن أجهزة الدولة المختلفة تفاجأت" بتحوّل حسين بدر الـدّين الحوثي وتنظيمه الشباب المؤمن من حركة سعت إلى دعمها، كحركة علمية دينية مسالمة، إلى حركة مسلّحة ومنظّمة ومجهزة بالأسلحة المختلفة، بدأت بالإعلان عن تمرّدها متجهة اتجاهـاً آخر(٦٤)؛ إلا أن بعض المراقبين يذهبون أن الهدف الأبرز غير المعلن لدعم التنظـيم كـان تفويت الفرصة على الجماعات الحركية وبعض فصائل السلفية. ثم إن من المـرجّح –وفقـاً لحديث عزّان– أن الدعم قد اتجه نحو فصيله وحده، لذلك حين سئل:" هل كان هذا الدّعم مقصوداً منه مواجهة بدر الّدين الحوثي؟ أجاب:" لا. وفهمت أنّ هذا الـدّعم كان لأنّهم رأوا أننا بدأنا ننظر نظرة جديدة، ونفتح آفاق المنطقة، ونجدّد فكرهـا، وهذا الشيء مطلوب في الواقع؟" (٦٥).

وفي سياق مماثل سئل:"هل دعمكم من قبل السلطة في فترة معينة كان بغـرض اسـتخدامكم لتصفية حسابات مع جماعات أخرى؟ فقال:"الرئيس يدعم أكثر من جماعة باعتبار الدعم يذهب إلى اليمن، وكنا من الجماعات الناشئة التي لا عون لنا وكنا نصر علـى أن يكـون انتماؤنـا

للداخل، فالرئيس شعر بهذا وأراد أن يساوينا ببعض الآخرين لأنهم مدعومون على مستويات رفيعة"(٦٦).

ويبدو أن لعامل الدّعم ومصدره اثراً لايخفى في توسيع شقّة الخلاف بين الطرفين. فعلى حين يقرّ محمّد عزان بالدّعم –على نحو ما سبق– فإن بدر الدين ينفي وصول أي دعم، وذلك حين سئل :"عن دعم الرئيس لحسين؟ فقال:" غير صحيح الرئيس لم يدعم حسين، ولو بريال واحد،ونحن مستعدون لأن نرجع أي ريال للرئيس؟ "(٦٧).

ومن ثم فقد جّر ذلك إلى تساؤلات داخلية لا تخلو من اتهامات مبطّنة وربما صاحب ذلك قدر من التحريض، عن مصدر دعم أيّ من الطرفين. وفي هذا يقول عزّان عن مصدر دعم حسين وأتباعه :" من البديهي أن يكون لدى أية جماعة تتمترس في الجبال منذ سنوات مصادر للدعم، غير أني لا أملك معلومات صحيحة عن مصدر معين، إلا ما أسمع عن دعم تجار لا أعرفهم وتجمعات دينية من خارج اليمن. ومن الطبيعي أن يكون لهم دعم، ولكن ليس من الطبيعي أن لا تعرف الدولة مصدر ذلك"(٦٨). على حين يحصر بدر الدّين الحوثي الدّعم المادي الذي كان يحصل عليه ولده حسين في المواد الغذائية وما أشبه، وإن كان لا ينفي أن ذلك يأتيه من جهات عدّة، وهو ما يفهم منه جهات داخلية وخارجية . ولذلك حين سئل عن مصدر الدّعم قال:" الباري –سبحانه وتعالى– وتأتي له من جهات عديدة، مساعدات عينية تتمثل في المواد الغذائية كالقمح وما أشبه ذلك،وهو يحمل ديوناً كبيرة، ونحن الآن نقضي الديون، وقد كان يكتبها بخطّه إلا أن الدولة أخذتها" (٦٩) .

٤–مشكلة التعامل مع يهود صعدة:

مع بداية اندلاع المواجهات بين الحوثيين والسلطة قفزت إلى السطح مشكلة التهديدات التي طالت اليهود اليمنيين في بعض مناطق صعدة، التي بدأ أنصار التيار الحوثي يسيطرون فيها على الأوضاع هناك. ثم إقدام مجموعة منهم على طرد (٧) أسر يهودية تضم (٤٥) فرداً من مساكنهم بمنطقة الحيد وغرير بآل سالم مديرية كتاف بمحافظة صعدة، بعد اتهامها بنشر الرذيلة في المنطقة.

وبحسب مصادر صحافية فإن مصدراً من اليهود اليمنيين النازحين إلى مدينة صعده قد أفاد أنهم تلقّوا بلاغاً خطياً من أنصار الحوثي يطلب منهم الرحيل فوراً ، ويحذرهم من تجاهل هذا البلاغ الذي حددوه بـــ١٠ أيام فقط، وأنهم إن وجدوا واحداً منهم بالمنطقة بعد انقضاء المدة فإنهم سيندمون جميعاً(٧٠) .

وكانت الرسالة التي تلقاها اليهود من أنصار الحوثي " أكدت أنه بعد المتابعة والمراقبة الدقيقة لتلك "العائلات" ظهر جلياً في الأيام الأخيرة قيامهم بأعمال تخدم الصهيونية التي تسعى جاهدة لإفساد الناس وتجريدهم عن مبادئهم وقيمهم وأخلاقهم وبث الرذيلة .. وديننا الإسلامي يأمرنا بمحاربة المفسدين ونفيهم من الأرض ، وأكدت الرسالة على أن الإفساد هو دين اليهود وليس غريباً في حقهم فتاريخهم وحاضرهم يشهد بذلك (٧١).

وحاول مصدر مقرب من القائد الميداني لتنظيم الشباب المؤمن (أتباع الحوثي) أن يبرّر جانباً من ذلك الإجراء بأن احد أفراد الأسر اليهودية التي تم طردها مؤخراً من منطقة آل سالم بمحافظة صعده كان قد خرج من اليمن مؤخراً وشارك في الحرب التي شنتها القوات الإسرائيلية على لبنان أواخر العام الماضي ٢٠٠٦م ولقي مصرعه أثناء الحرب ، مشيراً إلى أن يهود "آل سالم" قاموا بإقامة مراسيم العزاء الذي استمر لعدة أيام في المنطقة.

وأضاف المصدر: إن قضية طرد اليهود من آل سالم قضية قبلية تم البت فيها من قبل مشائخ وعقال ووجهاء آل سالم الذين اجتمعوا وقرروا نبذهم ومطالبتهم بالخروج من منطقتهم لأنهم في حكم العرف القبلي اليمني "جار"، وهو وصف يُطلق على من ليس من أصل القبيلة وله كافة الحقوق في ممارسة حياته الطبيعية بشكل كامل، باستثناء ما يخل بعادات وأعراف وتقاليد القبيلة ، وهو الأمر الذي حدث مع مجموعة من يهود آل سالم "وليس كلهم" حيث قام عدد منهم بينهم "يحيى بن يوسف" وآخر يدعى "هارون" بتوزيع أفلام جنسية وإباحية وإحضار الخمور وتعاطيها في المنطقة إلى غير ذلك من الأمور المخلة بالآداب والأخلاقيات العامة والتي تتنافى مع عادات وتقاليد القبيلة اليمنية وبالتالي تم طردهم من المنطقة.

وأشار المصدر إلى أن المطرودين من يهود آل سالم عددٌ قليل من الأفراد وهم الذين قاموا بتلك الممارسات المخلة فقط وإن الذين خرجوا معهم من الأفراد والأسر إنما خرجوا تعاطفاً معهم وليس لأنهم ممن شملهم قرار الإبعاد والطرد، مؤكداً أن الموضوع لم يخرج من إطار القبيلة ، وأن تنظيم الشباب المؤمن الذي بارك قرار مشائخ القبيلة ورأى فيه قراراً شجاعاً وحكيما وحاسما حفاظا على الأعراف والآداب والأخلاق الإنسانية السامية وأن ما فعله مشائخ المنطقة هو عين الصواب ، ليس له دخل لا من قريب ولا من بعيد في اتخاذ هذا القرار (٧٢).

وكان رئيس اللجنة الفرعية حول الشرق الأوسط بمجلس النواب الأميركي طالب الخميس الماضي الرئيس علي عبد الله صالح بتعهد علني يلتزم فيه بحماية الجالية اليهودية في اليمن.

وأضاف النائب الأميركي غاري اكيرمان وهو عضو في الحزب الديمقراطي ونائب عن مدينة نيويورك خلال محادثاته مع وزير الخارجية اليمني الدكتور أبو بكر القربي أن "تعهداً أكثر حزماً من الرئيس علي عبد الله صالح تجاه حماية الجالية اليهودية اليمنية من شأنه أن يطمئن يهود اليمن والأسرة الدولية على السواء" "حسب ما جاء في بيان لمكتبه نشرته الفرنسية". وقال اكيرمان الذي يعد من المخضرمين في الكونجرس الأميركي وأعيد انتخابه ١٢ مرة –وهو عضو قديم في لجنة العلاقات الدولية في الكونجرس ويشرف على منطقة الشرق الأوسط ووسط آسيا ، كما يلعب دورا مهماً في توجيه اهتمام الحكومة الأميركية إلى قضايا معينة حول العالم – قال إن "الحكومة نددت بالتهديدات التي وجهت إلى يهود صعده وتحملت مسؤوليتها لتأمين الأمن لجميع اليمنيين، ولكن التجربة الحقيقية ستكون متابعتها وما سيقوم به المسئول المحلي وكذلك المشايخ المحليين" (٧٣).

ومنذ ذلك الحين يقيم اليهود الذين تم إخراجهم من ديارهم بصعدة؛ في المدينة السياحية بصنعاء– بصورة مؤقتة– تحت حماية السلطات الأمنية. و يصل عددهم إلى أكثر من ستين يهودياً، يشكّلون في مجملهم اثنتي عشرة أسرة. وبسبب ما لحقهم من أذى فقد تلقّوا تعاطفاً داخلياً لافتاً– عدا الخارجي بطبيعة الحال– لاسيما في العام الحالي ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م، بمناسبة حلول عيد الفصح اليهودي التي ابتدأت طقوسها يوم ٢٠٠٩\٤\١٩ . ولفت الأنظار مدى الاهتمام الرسمي والشعبي بهذه المناسبة، حيث تصدّرت أخبار تغطية فعاليات عيدهم وطقوسه، والمكرمة الرئاسية تجاههم صفحات الصحف الرسمية وملاحقها، والقناة الفضائية، والمواقع الإلكترونية(٧٤). كما شكّلت محنتهم –على غير عُرف سابق – تعاطف بعض الجمعيات الخيرية، مع أبناء الطائفة اليهودية في اليمن بصورة عامة، فقد قامت جمعية الإصلاح الاجتماعي الخيرية بتوزيع كسوة عيد الفصح وهديته لأبناء الطائفة اليهودية بمديريتي خارف وريدة بمحافظة عمران، للمرة الأولى منذ افتتاح فرع الجمعية في المحافظة(٧٥).

وإذا كانت تلك هي التداعيات لذلك المسلك؛ فإن ذلك يؤكّد أن الإجراء الحوثي إزاء يهود صعدة أتى بنتائج عكسية، وقد يصبح ذلك ذريعة للكيان الصهيوني والولايات المتحدة الأمريكية وسواهما للمطالبة بالتدخّل لحماية الأقلية اليهودية، أو السماح لها بمغادرة اليمن إلى أي مكان تشاء. والكيان الصهيوني يعمل جهده في سبيل استقبال الهجرات اليهودية من كل صقع في العالم. وقد سبق له أن استقبل العدد الأكبر من يهود اليمن بُعيد إعلان الكيان الصهيوني دولته المغتصبة في فلسطين المحتلة، في منتصف القرن الميلادي المنصرم.

ويختلف تفسير الأمين العام الأسبق لتنظيم الشباب المؤمن السيّد محمد يحيى سالم عزان عن تبريرات الحوثيين لهذا المسلك تجاه اليهود، إذ يرى بأن الحوثيين " يريدون أن يبرهنوا للعامة أنهم يحاربون اليهود، فيكسبون بذلك سمعة، ولم يعلموا أنهم مواطنون كغيرهم لهم حقوق وعليهم واجبات، فرضها الدين وكفلها الدستور. ومن البلاء أن هؤلاء لا يدركون خطورة ما يفعلون سواء في التضييق على المواطنين أو التسبب في إقلاق المجتمع وتشريد الناس وقطع أرزاقهم وتخويفهم"(٧٦).

وكان الرئيس علي عبد الله صالح قد اشترط في ٢٠٠٧\١٢\١٤م ثماني نقاط لعودة الأمور إلى ما كانت عليه قبل اندلاع شرارة الفتنة هناك ومن بينها البند الرابع الذي ينص على " عودة اليهود من المواطنين اليمنيين إلى قراهم آمنين مطمئنين"(٧٧).

وقد بدا للباحث أن ثمة إشكالاً منهجياً وفكرياً في التصوّر الحوثي تجاه طبيعة الخلاف مع غير المسلمين، وبالأخص اليهود، إذ يبدو أن ثمّة ازدراءً أصلياً لجنس اليهود في الفكر الحوثي، بحيث لا يميّز بين اختلاف المسلم مع معتقداتهم، وبين ضرورة العدل معهم، وعدم ظلمهم، في ظل سيادة الإسلام، وأنهم ليسوا سواء في خصومتهم، ثم ضرورة إدراك أن ثمّة اختلافاً بين أهل الكتاب والمشركين أو الملحدين أو الوثنيين ، كما علّمنا القرآن الكريم ذلك في مخاطبتنا لهم – وليس هذا مقام التفصيل–(٧٨). لكن ذلك أمر غير قائم – مع الأسف– لدى الفكر الحوثي، بل ثمة استخفاف بمن يقول مثل ذلك. وهاهو ذا حسين الحوثي يعدّ أن من أبرز ما يؤخذ على الفكر السنّي أنهم يعاملون اليهود معاملة تختلف عن معاملة المشركين، إذ يقول :" معلوم أن اليهود والنصارى درجة ثانية عند أهل السنة، هم لا يصنِّفونهم كمشركين كما نصنِّفُهم، يعتبرون أنهم فوق الكافرين، لا زالوا أحسن من الكفار، ويعتبر اليهود والنصارى عند كثير من المسلمين لا يزالوا [هكذا والصواب لايزالون] أحسن من الكفار ، أهل الكتاب وضعية أحسن، فإذا كان قد جَوَّزَتْ وسوَّغَتْ لي تلك الملزمة أن أعيش في ظل الكفر الصريح فبالأولى في ظل اليهودي فسيحكمنا اليهودي ونحن لا نشعر بحرج، أقول: لماذا يحكمنا؟. قالوا: نحن لا نستطيع أن نعمل ضده شيئاً..." (٧٩).

ونراه يرجع كل مصيبة داخلية أو خارجية إلى اليهود، بل يعتقد أن منهج النبي محمد – صلى الله عليه وآله وسلّم– هو معاداتهم بالمطلق، دون النظر في الأسباب والملابسات التي اضطرته لانتهاج ذلك المسلك مع بعضهم. يقول حسين الحوثي:" الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ضرب اليهود في كل الأماكن التي كانوا متواجدين فيها في الجزيرة العربية بنو قريظه، بنو النضير، وقينقاع، وخيبر، وغيرها من المناطق، منهم من طردهم ومنهم من قتلهم ،قضى على اليهود. وتحدث القرآن عن خطورة اليهود وأنهم يسعون في الأرض فساداً

،وأنهم يصدون عن دين الله ، وأنهم يريدون أن يضلوا الناس ،وأنهم يريدون أن يحولوا الناس إلى كفار ،وأنهم وأنهم ..الخ. إذاً فمن الذي يتحمل مسئولية يوقف اليهود عند حدودهم حتى لا يملئوا الأرض بالفساد؟. هم المسلمون هم العرب ، العرب بالذات هم الذين كان يُراد منهم أن لا يفسحوا المجال أمام اليهود ليفسدوا البشرية كلها ،أن يسبقوا هم بنور الإسلام إلى بقاع الدنيا قبل أن يسبق اليهود بفسادهم في الدنيا كلها، إذاً فكل فساد جاء من قِبَل اليهود في الدنيا كلها العرب شركاء معهم فيه؛ لأنهم قصروا ،وهم مَن أفسحوا المجال بتفريطهم في مسئوليتهم بالنهوض بدين الله حتى تمكن اليهود من أن يسيطروا في العالم ويفسدوا العالم ،ثم يهيمنوا على المسلمين، ثم يستذلون المسلمين يستذلون العرب. وهكذا وجدنا أنفسنا نحن المسلمين نحن العرب ــ وللأسف الشديد ــ تحت أقدام اليهود والنصارى" (٨٠). وينتقد تصريحات الرئيس اليمني علي عبد الله صالح حين نُسب إليه القول بأننا لسنا ضدّ اليهودية ولا النصرانية، لأنها جميعاً ديانات سماوية، وعلّل الحوثي انتقاده بأن اليهود والنصارى حرّفوا وغيروا ، فكيف نصدّقهم بأنهم على الدين السماوي الحق؟ (٨١). وكأنه –أو هكذا يوحي حديثه في سياق مجمل فكره وممارسات أتباعه تجاه اليهود عملياً– يلزم من كونهم غيّروا وحرّفوا أن تُسلب منهم حقوق المواطنة، إن كانوا ذمّيين بيننا، أو أن تستباح أعراضهم وحقوقهم إن كانوا مستأمنين أو معاهدين، ناهيك عن أن يكونوا بعيدين عنا في بلدانهم الأصلية!

وليس يدري الباحث: هل تسهم التنشئة الزيدية الجارودية في تعبئة أتباعها بهذا الفكر المعادي لجنس اليهود على مدى التاريخ، فيتحوّلون إلى معادين لهم لجنسهم؟! إذ مما يلفت النظر ويستأهل التوقف إزاء مسلك الحوثيين مع أبناء الطائفة اليهودية في اليمن اليوم أن إماماً (جارودياً) حكم بعض مناطق اليمن ويدعى أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمّد، الإمام أو الملك المهدي(ت:١٠٩٤هـ)، يُذكر أنّه أول من سنّ سنة الغدير– وسيأتي ذكر ذلك في موطنه من هذه الدراسة– كان قد أقدم على إجلاء يهود صنعاء في نطاق المدينة نفسها، إلى قاع المضمار في حيّ بير العزب، حيث بنى لهم حيّاً خاصاً بهم، يُعرف الآن بقاع اليهود، في مقابل حيّ الجِلا: الحي الذي كانوا يسكنونه من قبل ، ويخالطون فيه المسلمين،والمفارقة أن الرجل(المهدي) مشتهر بالغُشم والظلم، وليس من أهل الدين أو العلم، حتى إن بعض المؤرخين ليذكر أنه كان إماماً بالحسبة لا بالشروط المتعارف عليها في الفكر السياسي الزيدي(٨٢). هذا مع أن من المعلوم بأن النبي – صلى الله عليه وآله وسلّم– لم يقم أو يوجّه بمثل ذلك، إذ من الثابت أنه كان يعيش إلى جواره يهود، وكان يزورهم، ويستدين منهم، ويتعايش معهم، كجزء من النسيج المجتمعي لأبناء المجتمع المدني.

وكانت العلاقة المدنية المتعلقة بالبيع والشراء والرهن والوكالة والقرض ونحو ذلك قائمة.

وقد جسّد بعضها النبي- صلى الله عليه وآله وسلّم- عملياً، حتى إن عائشة- رضي الله عنها- تروي أنه- صلى الله عليه وآله وسلّم- توفي ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين – يعني صاعاً- من شعير(٨٣).

كما كانت الخدمة والزيارات قائمة بين المسلمين وغيرهم فيروي أنس بن مالك- رضي الله عنه- أن غلاماً ليهود كان يخدم النبي صلى الله عليه وآله سلم - يعوده -أي النبي صلى الله عليه وآله وسلّم- فقال : أسلم فأسلم " (٨٤).

ثانياً العامل الخارجي:

ثمّة جملة شواهد تدل على أن للعامل الخارجي أثره في أن تبلغ ظاهرة الحوثي ذلك المدى. وقبل المضي في الحديث عن شواهد هذا العامل تحسن الإشارة إلى أن ظاهرة التطرّف والمغالاة في التشيع في اليمن قد لا تخلو من تأثير خارجي منذ القديم، حسبما يذهب إليه بعض الدارسين، إذ يؤكّد أنه كان يفد إلى اليمن بعض الأفراد أو الجماعات من فارس (إيران) لغرض سياحة أو تجارة أو نحو ذلك، لكنهم يعمدون أثناء إقامتهم باليمن إلى نشر مذهبهم (الإمامي) في أوساط العامة(٨٥). ويورد الشوكاني(ت:**١٢٥٠هـ**) في ترجمته للإمام محمّد بن إسماعيل الأمير الصنعاني (ت: ١١٨٢هـ) أن فتنة حدثت في أيام الإمام المنصور الحسين بن القاسم (حكم اليمن من سنة ١١٣٩-١١٦١هـ) بسبب أنه اتفق في بعض الجُمع أن الأمير الصنعاني لم يذكر الأئمة الذين جرت العادة بذكرهم في الخطبة الأخرى مما أثار عليه جماعة من آل الإمام مع جماعة من العوام وأعدّوا خطة لقتل الأمير في الجمعة المقبلة، وكان من أعظم مثيري الشغب والفتنة شخص إمامي قدم من (فارس) يدعى يوسف العجمي، وكان قد حظي بمنزلة رفيعة عند المنصور، إذ صار مدرّساً بحضرته، ولم يطرده من اليمن إلا الإمام المهدي عباس بن الحسين (حكم اليمن من سنة ١١٦١- ١١٨٩هـ) على خلفية الفتنة إياها(٨٦).

تصدير عقيدة الثورة الإيرانية:

سبقت الإشارة إلى أن الثورة الإسلامية في إيران التي أعلنت انتصارها عام ١٩٧٩م؛ قد أعلنت كذلك حقّها في تصدير الثورة إلى العالم. وسعت عملياً إلى تنفيذ ذلك في بعض الأقطار.

وفي وقت مبكّر نسبياً (يناير ١٩٨٤م) من عمر الثورة الإيرانية أجرى الكاتب والصحافي المصري فهمي هويدي حواراً حول العنف وتصدير الثورة مع حجة الإسلام هاشمي رفسنجاني رئيس مجلس الشورى- آنذاك- حاصله الإقرار أن الثورة لا تجد حرجاً في إيصال

صوتها إلى الناس بعيداً عن فرض ذلك عليهم، لاسيما " أن الأغلبية الساحقة من الشعوب الإسلامية تعاني من مظالم حكامها، الأمر الذي يدفع البعض من أبنائها إلى معارضة الطواغيت في بلادهم بصورة أو أخرى، وربما قوي الأمل لدى أولئك المستضعفين بعد النجاح الذي حققته الثورة الإيرانية..."(٨٧).

ويؤكّد الحوثي أن الإصلاحيين في إيران بدأوا يتراجعون عن هذه فكرة تصدير الثورة قليلاً، بيد أن خط الإمام الخميني الذي يعلن الحوثي إعجابه غير المحدود بشخصه لايزال على نهجه مستمراً(٨٨). والمفارقة أن الحوثي – كما سيتضح لاحقاً– لايعني بإعجابه بالخميني وفكرة تصدير الثورة قبول نشر المذهب الإمامي في اليمن بل هو على النقيض من ذلك تماماً(٨٩). لكن لاشك أن توافر بيئة ملائمة في اليمن، من حيث قيام مذهب شيعي فيها، – أيّاً اختلفت طبيعته مع المذهب الإمامي – قد أصبح عاملاً مساعداً لقبول عقيدة الثورة بين عدد محدود من أفراده. ويلفت النظر بشدّة أن ذلك التوجّه للثورة ليس مجرّد حركة سياسية اجتهادية معزولة عن مستند وشرعية (دينية)، –أو هكذا بدا الأمر–، بعد أن طالعنا جملة نصوص أوردها المرجع الشيعي الجعفري المعاصر علي الكوراني في كتابه (عصر الظهور) عن دور البلدان الإسلامية في ظهور المهدي. وتحت عنوان(اليمن في عصر الظهور) يقول "*في ثورة اليمن الإسلامية الممهدة للمهدي –عليه السلام– أحاديث متعددة عن أهل البيت– عليهم السلام– ، منها بضعة أحاديث صحيحة السند ، وهي تؤكد حتمية حدوث هذه الثورة وتصفها بأنها راية هدى، تمهد لظهور المهدي –عليه السلام– وتنصره، بل تصفها عدة روايات بأنها أهدى الرايات في عصر الظهور على الإطلاق ، وتؤكد على وجوب نصرتها كراية المشرق الإيرانية وأكثر، وتحدد الأحاديث وقتها بأنه مقارن لخروج السفياني في رجب ، أي قبل ظهور المهدي –عليه السلام– ببضعة شهور ، ويذكر بعضها أن عاصمتها صنعاء.*

أما قائدها المعروف في الروايات باسم (اليماني) فتذكر رواية أن اسمه (حسن أو حسين) من ذرية زيد بن علي عليهما السلام(٩٠) .ثم يورد نماذج منها "وفي بشارة الإسلام ص١٨٧: " ثم يخرج ملك من صنعاء اسمه **حسين أو حسن** ، فيذهب بخروجه غمر الفتن، يظهر مباركاً زاكياً ، فيكشف بنوره الظلماء، ويظهر به الحق بعد الخفاء" (٩١).

ويحدّد منطقة صعدة لخروجه فيقول:" وجاء في بعض الروايات عن المهدي –عليه السلام– أنه (يخرج من اليمن من قرية يقال لها كرعة) (البحار: ٣٨٠/٥٢). "وكرعة قرية في منطقة بني خَوْلان باليمن قرب صعدة . وإن صحت الرواية فلابد أن يكون المقصود فيها أن اليماني

يبدأ أمره من هذه القرية، كما ورد أن مبدأ أمر المهدي –عليه السلام– من المشرق، أي مبدأ حركة أنصاره، لأن الثابت المتواتر في الأحاديث أن المهدي عليه السلام يخرج من مكة من المسجد الحرام " (٩٢).

ويمضي في التأكيد قائلاً: "ومع أن دور الإيرانيين في التمهيد للمهدي –عليه السلام –دور واسع وفعَّال، ولهم فضل السبق والتضحيات، حيث يبدأ أمر المهدي –عليه السلام– بحركتهم، إلى آخر ما ذكرته الأحاديث الشريفة، وسنذكره في دورهم في عصر الظهور . فما هو السبب في أن ثورة اليماني ورايته أهدى من ثورة الإيرانيين ورايتهم ؟" ثم يشرع في بيان ذلك .

ومما ورد في حديثه: "ويحتمل أن تكون ثورة اليماني أهدى بسبب سياسته الحاسمة مع جهازه التنفيذي، سواء في اختياره من النوعيات المخلصة **المطيعة فقط**، ومحاسبته الدائمة والشديدة لهم، وهي السياسة التي يأمر الإسلام ولي الأمر أن يتبعها مع عماله كما في عهد أمير المؤمنين –عليه السلام– إلى عامله في مصر مالك الأشتر –رضي الله عنه–، وكما ورد في صفات المهدي –عليه السلام– أنه شديد على العمال رحيم بالمساكين"(٩٣).

وبعد مناقشة حول أسباب تفوّق ثورة اليماني على ثورة الإيرانيين ورايتهم يقرّر كونها تحضى بشرف التوجيه المباشر من الإمام المهدي "ولكن المرجح أن يكون السبب الأساسي في أن ثورة اليماني أهدى أنها تحضى بشرف التوجيه المباشر من الإمام المهدي –عليه السلام– ، وتكون جزءاً مباشراً من خطة حركته –عليه السلام– ، وأن اليماني يتشرف بلقائه ويأخذ توجيهه منه "(٩٤).

هل كان حسين الحوثي إمامياً؟

قد يبدو هذا العنوان مستغرباً، بعد أن ذاع في الوسط السنّي واشتهر على نطاق واسع أن حسين الحوثي داعية إمامي جعفري إثني عشري، وغدا ذلك حكماً مسلّماً به في ذلك الوسط، بحيث لا مجال فيه للتكذيب، خاصة مع بروز بعض الشواهد الظاهرية، ولكنها – في حقيقة الأمر–أحكام متعجّلة، يعوزها التحقيق، إذا كان ثمّة التزام صارم بمنهج البحث العلمي، بعيداً عن المناكفات السياسية، والملاسنات الإعلامية. والحق أن الباحث بعد اطّلاعه المباشر على مثل النصوص السابقة، التي أوردها الكوراني في كتابه، وقبل استماعه إلى محاضرة مسجّلة لحسين الحوثي في السياق ذاته، ومع ترديده – أي حسين الحوثي– في غير ما مناسبة إعجابه البالغ بالخميني وثورته؛ كان يعدّ الباحث ذلك الكتاب وما ورد فيه عن اليمن –بوجه خاص–

دليلاً كافياً على صحة الاتهام، الذي لطالما وجّه إلى حسين الحوثي، وكان يعتقد –كما آخرون– (٩٥) أن ما تبناه حسين الحوثي من فكر إنما يستمد جوهره –على الأقل– من خلال تبعيته المطلقة لإيران، وأن حركته العسكرية هذه إنما قامت في إطار خطّة محكمة الأبعاد، تتدثر برداء النصوص (المقدّسة) تلك. بيد أن المتابعة المعمّقة لجملة ما صدر عن الحوثي عبر المحاضرات والدروس والملازم ونحوها– مما ألزم الباحث به نفسه منذ البداية– فرض عليه التروّي وضرورة التحليل المعمّق، لهذه المسألة، على نحو ما سيرد توّاً.

وفي ضوء حديث مثير مسجّل لحسين الحوثي عن الإمامية والزيدية يمكن للباحث في حقيقة الفكر الحوثي أن يتوصّل إلى حقيقة ما يتردّد عن العلاقة بين الحوثي والمذهب الإمامي الإثني عشري . وحاصل مادار في حديثه ذاك– ويستسمح الباحث القارئ الكريم لإيراد أجزاء منه وإن طال الاقتباس لأهميته في هذا السياق– أنه بعد تأكيد الحوثي على أن فكرة المهدي المنتظر وكونه من أهل البيت من حيث هي؛ ليست موضع خلاف لدى عموم المذاهب الإسلامية، ينتقل إلى عقيدة الإمام الغائب التي يمثل ركناً أساسياً في الفكر الإثني عشري الإمامي، فيوسعها استخفافاً وسخرية و دحضاً وتفنيداً ، مبتدئاً بفكرة الغيبوبة تلك، وتصويرها بأنها مؤامرة مصطنعة، نسجت خيوطها في العهد العباسي، بهدف نزع فتيل التشيع وشوكته من النفوس،وتأكيده على عدم ثبوت ولادة ما يسمى بالإمام المهدي الغائب، ومحاججته الجعفرية الإمامية القائلة بذلك، منكراً صراحة وجود إمام غائب يمثّل حجة الله على الناس، داعماً رأيه بعدم معرفة الأمة به، إذ لم يتصل بالأمة، ومؤكّداً أن حجة المهدي على الناس إنما تكون في حال ظهوره، وليس في فترة غيابه التي لا يعلم أحد كم ستستمر. ويمضي مع القوم في عقيدتهم فيفترض معهم التسليم بولادته وأنه لا يزال يعيش إلى آخر الزمن وسيظهر محاججاً إياهم بقوله فإن "*كان المراد بالمهدي هو أنه إمام للأمة منذ ذلك الزمن وعلى امتداد التاريخ وحجة عليهم؛ فلماذا تتحدثون عن ظهور المهدي؟ وعندما يأتي المهدي؟ ودولة المهدي؟ وأنه رجل أعد لهذا العصر المتأخر؟ منطقكم ذا يدل على أن المهدي هو رجل أعدّ لعصر لم يأت بعد، أي فما هو الآن فيه ليس هو فترة دولته ولا فترة حجبته، ولا فترة ارتباط الأمة به*". والحق أن هذه العبارة وحدها كفيلة بنقض تهمة تحضيره من قبل إيران ليكون الرجل الذي جاءت به الآثار التي أوردها الكوراني في كتابه (عصر الظهور) . وقد اطّلع الباحث لاحقاً على نفي الكوراني للتهمة الموجّهة إليه بكونه المرجع الأول لحركة الحوثي، مشيراً إلى أنه قد أوضح للسفير اليمني بطهران الذي زارهم إلى مدينة قم أن لاعلاقة له بحركة حسين الحوثي، وانّه ليس اليماني الموعود قائلاً:" وإذ ادّعى ذلك لا نصدّقه، حتى يأتي بمعجزة". وأكّد في بعض المنتديات " أن كتابه مؤلّف من سنين طويلة، وأنّه ينقل أحاديث

شريفة عن النبي والأئمة –صلوات الله عليهم– ، ويتحدّث عن عصر ظهور المهدي – عليه السلام– ، الذي لايعلم أحد متى يكون؟ فقد يكون بعد قرون، وليس في الكتاب خطّة مني، ولا توجيه، ولا تحريك، وشخصياً أرى أن القتال وسفك الدماء حرام على الطرفين، وأنّه يجب عليهم حلّ مشاكلهم بالطرق السلمية" (٩٦).

ووصف حسين الحوثي فكرة التعمير الطويل لمن تصفه الإمامية بـــ(الإمام الغائب)، بكونه سابقاً للحضارات وكي لا ينبهر بها بـــ(المغالطة)، واستشهد بولادة الإمام الخميني من رحم هذه الحضارة الغربية فهو ابن القرن العشرين، وكان من أشدّ الناس مقاومة لطغيان الحضارة الغربية المعاصرة، دون أن ينبهر بها! كما ردّ دعوى ظهوره لبعض الإثني عشرية في صورة (شبح) – رغم الزعم بأنه حجة على الناس جميعاً وليس على الإثني عشرية وحدها– بأنه من أساطيرهم، وتساءل: لماذا لم يره أحد من علماء الزيدية الكبار عبر تاريخهم، رغم أن فيهم أئمة وعلماء وعبّاداً وصالحين من المؤمنين بفكرة المهدي وأنه من آل البيت؟ وتساءل بلهجته " ليش ما بيلقاه المهدي هذا" أي لماذا لم نعثر على المهدي؟ ولفظ (هذا) هنا للتهكّم؟ مستنتجاً أن الهدف من ذلك هو تحقيق الإمامية لمطلب التحوّل للزيدية تحديداً وعبّر عن ذلك بالقول " *ما بلّا إذا بدا يتحوّل إلى اثني عشري فسيلقى المهدي* ". أي أن الشرط لرؤية المهدي الغائب هو البدء بالتحوّل الفعلي إلى المذهب الإثني عشري، وهذا دليل أكثر قوّة على اختلافه مع فكرة إحلال المذهب الإثني عشري في اليمن أو موافقته على عمليات التحوّل التي تقع لبعض أفراد المذهب الزيدي ورجالاته. ومضى في كشف تلك الأسطورة راجياً ممن يصرّ على أنه رأى المهدي بأن يمسكه ويطلب موعداً للحوثي ، كي يأتي إليه ليراه! " قلنا لواحد منهم طيّب أنت بتشوفه(أي تراه) رجاء متى ما لقيته حدّد لنا موعد (هكذا والصواب موعداً) معه لنجلس معه ونحن مستعدون، أنت ثقة خلاص متى ما لقيته حدّد لنا موعد(هكذا والصواب موعداً) لنجتمع معه ونؤمن به وننصره" ووصف ذلك باخرافة حين قال" *ذا من الأشياء التي تعتبر خرافة، دعوى أنه لا يراه إلا هم* ..."

ثم يأتي إلى تعزيز مناقشته في دحض فكرة الإمام الغائب بما ورد في بعض الروايات الإثني عشرية –وقد أوردها كتاب الكوراني المشار إليه سابقاً وإن لم يذكره بالاسم– من كون الرجل الذي يأتي قبيل ظهور المهدي من اليمن، وان رايته أهدى الرايات، واصفاً لذلك بأنها "*إشكالية لديهم*". وأشار إلى أنهم حاولوا التملّص من ذلك بقولهم "إنه لا يعني هذا بأنه يمكن أن يظهر وهم ليسوا إثني عشرية، يفترض بأنهم سيكونون اثني عشرية" ثم جاراهم وقال: "حتى إذا كانوا إثني عشرية؛ فلماذا رايتهم أهدى من راية الخرساني والخرساني هو منهم اليوم...؟ إذا

ليش ما يظهر لليمانيين...؟وهم من سيكونون من أنصار المهدي، واليماني هذا فيهم هو رايته أهدى الرايات؟ مابش (أي لاشيء) مابلا فقط الإثني عشرية(أي لابد من الإثني عشرية) " .

واستغرب أن يترك المهدي – مادام موجوداً– أتباعه من الإثني عشرية– في هذا الاضطراب في فنونهم وعلومهم سواء في التفسير أم الحديث أم الفقه أم الأصول، شأنهم في ذلك، شأن غيرهم من أهل السنّة وغيرهم، مختلفين متنازعين، فلماذا لا يعطيهم المهدي الغائب العلم الحق الذي يرفع النزاع ويقطع الخلاف في العلوم جميعا؟

كما استغرب أن يوردوا حديث: "من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية"، في حين لم يظهر هذا الإمام، ولم يدع الناس إلى بيعته مباشرة!

واستهجن اعتقاد أن يكون هناك إمام يعلم الغيب، لأن الأنبياء لا يعلمون الغيب، ولا علي ولا الحسن ولا الحسين، وحشد عدداً من الأدلة من تاريخ آل البيت تدحض جميعها هذا الاعتقاد. مشيراً إلى أن الإمامية طيلة تاريخها تحرّك مسألة آل البيت عاطفياً، وإن بدأوا يحركونها اليوم ثورياً، وتفرّق بين الحسن والحسين، لتعلي من أهمية الأول، في مقابل ازدراء الثاني أو التقليل من شأنه، على حين أن الزيدية لا تفرّق بينهما.

وأشار إلى أن فكرة الإثني عشر إماماً عند الإمامية، لا تختلف عن مفهوم عدالة الصحابة عند أهل السنّة، وعقيدة الصليبية عند النصارى، لكنه أشار إلى أن الإمامية بالغت في تضخيم أئمتها إلى حدّ أن جعلت عدد الساعات الإثني عشرة مرتبطاً بكل إمام، فالساعة الأولى باسم الإمام فلان والثانية باسم الإمام فلان وهكذا...إلخ وكذا الأذكار. واستنكر أن تقدّم الإمامية فكرة الأئمة الإثني عشر وتعدّها من المسلمات المفروغ منها!! كما استنكر بعض المظاهر التي تقيمها الإثني عشرية عند المشاهد كالسجود عند باب المشهد مستقبلاً القبر نفسه، من غير اتجاه القبلة، وعلّل ذلك بالنسبة للإثني عشرية بطغيان مسألة الأئمة عندهم حتى " *تراها وكأنها طاغية على النبوة*" فلم تعد لديهم المسألة مستنكرة، تماماً كما طغت مسألة الصحبة عند السنة على النبوة!.

وبرّر إعجابه بإيران والخميني ونصر الله أو حزب الله بجانب الإرادة والحركة والقدرة على التغيير، وليس بمذهبهم العقدي والفقهي لأنهم تجاوزوا مذهبهم " *نحن لا نلحظ إطلاقاً الجانب المذهبي لديهم، لأنه–كما قلت سابقاً : لو أتأثر بهم مذهبياً لوجدت مذهبهم غيرهم، لوجدت مذهبهم يفرض عليهم أن لايكونوا على ذلك النحو الذي كانوا عليه. ليس في مذهبهم مسألة ولاية الفقيه ولا حركة ولا حكومة إسلامية* " .

وأضاف" *بعض الناس استشكل عندما أتحدّث عن الخميني، أو أتحدث عن كذا،لأن هذا قد يؤدي إلى أن الناس يتأثرون بهم مذهبياً. انظر إلى حديثي عنهم، أنا أقدمهم كأشخاص جربوا القرآن في تاريخنا هذا، لأن الناس من حولنا ماعاد أصبح يكفيهم نصوص الآيات القرآنية...* نقدّمهم كمَثَل ونحن ليس لدينا من كتبهم الفقهية، ولا نتأثر بهم اعتقادياً، ولا نلتفت إلى هذا الجانب إطلاقاً ".

وحمل على الزيدية، متهماً أتباعها بأنهم صاروا من الضعف بحيث بات الناس يتخطفونهم من حولهم، مشيراً إلى أنه بدلاً من أن يقدّم الزيدية أنفسهم بأنفسهم، صار الآخرون– في إشارة إلى الإمامية– يقدّمونهم مشوهَّين.ثم صرّح –عقب ذلك– بأنه لابد من استنكار تشويه الزيدية من قبل الإثني عشرية، الذين يتحرّكون في اليمن اليوم، وأن هؤلاء ليسوا على خط الخميني، وقد بدأت المعاناة منهم(يقصد الإصلاحيين) داخل إيران ذاتها،مذ بدأوا يتخلّون عن فكرة تصدير الثورة. وحذّر الشباب من الاستعانة بكتب الجعفرية في خطبة أو نحوها لما فيها من السلبيات الكثيرة، كدعوى علم أئمة الإثني عشرية الغيب. مؤكّداً على ضرورة إدراك أن السلوك الذي يبعث على الإعجاب بمثل الخميني أو نصر الله يأتي بمعزل عن مذهبهم! محذِّراً – في الوقت ذاته– من خطورة التسهيلات التي تقدّم للجعفرية، ومنوّهاً إلى أن من أخطر القضايا لدى الإمامية: قضيتي الخمس والمتعة، وتكادان أن تكونا من أصول المذهب عندهم، وتساءل مستنكراً : *هل يمكن لليمنيين أن يسلِّموا الخُمُس؟ هل يمكن لأهل الجوف – مثلاً– أن يسلّموا الخُمُس مع أنهم يخطفون الطير من الهواء؟ أمّا المتعة فأكّد أنها لا تنسجم مع مذهب الزيدية وتقاليدهم وشهامتهم وشيمهم. وغمز من انخرط مع الجعفرية وراحوا يدعون إليها بسؤالهم: لماذا لا تجعفر أخواتك*"؟ وحين يراهم يتردّدون قال لهم :" إذاً أنت ماتتشتي (لا تريد) اثني عشر من صدق" وأردف: المعلوم أن الذين تجعفروا هم رجال فقط، وليس هناك نساء. وأكّد أن اليمنيين يبحثون عن من يعطيهم مصروفاً، كما كان في عهد الإمام أحمد، وفي التاريخ، ولذلك من يذهب إلى حوزة أو نحوها إنما ذهب للبحث عن مصروف من هناك أو" يترزّق الله ويتعيّش". ومع أن الجعفرية تعلم بأنه لايمكن لليمنيين تطبيق المتعة والخمس ، فإنهم يقبلونهم " *حياهم الله، المسألة مسألة إيجاد طائفة على هذا النحو*". وانتقد بشدّة ظاهرة التبشير بالإثني عشرية في اليمن، وأن البعض تصدّى لها، وأن هناك كتباً تبيّن الفرق بين الإمامية والزيدية، وهو وإن كان يعتقد أن المرحلة ليست مرحلة تخصيص ردود عليهم، لكن إذا استمرّوا في منهجهم في نشر الإثني عشرية فوعد بالتصدّي لهم، مذكّراً بأن لديه من الشواهد ما يجعله قادراً على كشفهم. ثم أكّد أن الزيدية هي أصدق الفرق في ولائها لآل البيت (٩٧).

حقيقتان في مسألة العلاقة بالخارج:

في ضوء هذا البيان الصريح لموقف الحوثي من الإمامية الإثني عشرية؛ بوسع الباحث استخلاص الحقيقتين التاليتين:

الحقيقة الأولى:

ضرورة إدراك أن نشأة حسين الحوثي وتربيته وتفاعله مع المحيط البيئي من حوله، ومع العالم الخارجي الذي اطّلع على مجريات الأحداث فيه، مباشرة أو غير مباشرة؛ قد أسهم بنصيب وافر، في إخراج (سيكولوجيته) على ذلك النحو. ولاشك أن في سفره في ١٩٩٤م ووالده إلى إيران، ثم لبنان قد جعله يعود أكثر إعجاباً بالتجربة الإيرانية والخمينية وتجربة حزب الله، وهو مما استفاضت به محاضراته ودروسه المسجّلة وملازمه. ولا أحسب ذلك موضع نزاع لدى أحد من أتباعه. بيد أن ذلك لا يعدّ – من الناحية المنهجية- دليلاً كافياً على تبعية مطلقة لإيران أو حزب الله ومذهبهما الإثني عشري الإمامي، إذ إن دعم إيران المعنوي والمادي لم يقتصر على جهات أو اتجاهات شيعية فحسب، بل ثمّة أطراف سنيّة تعلن اعتزازها بموقف إيران (الشيعية) ودعمها لها، ولعل أنموذج حركة حماس (الفلسطينية) خير شاهد على ذلك. وإذا صحّت شهادة القائد الميداني لتنظيم القاعدة في جزيرة العرب: محمّد عتيق العوفي، الذي سلّمته السلطات اليمنية إلى الأجهزة الأمنية السعودية، بأنّه بدأ يفكّر في التخلّي عن تنظيم القاعدة، مُذ لاحظ أنّه يحرّك من قبل المخابرات الإيرانية، عبر الحوثيين في اليمن، ثم تأكّد له ذلك شخصياً، كما ورد في حديثه المتلفز للقناة السعودية الأولى مساء ٢٠٠٩١٣١٢٧م(٩٨)، ورغم النفي اللاحق للحوثيين، واتهام الإعلام السعودي بتلفيق أكاذيب وافتراءات تهدف للربط بينهم وبين تنظيم القاعدة،دون الاستناد إلى أية أدلة صحيحة(٩٩)؛ فإن ذلك شاهد آخر يساق لمن يعتقد ضرورة الربط بين الأيدلوجيا والمذهب أو الطائفة بإطلاق- على أن للسياسة حساباتها أحياناً، بمنأىً عن الأيديولوجيا والطائفة والمذهب، إذ كيف يجتمع تنظيم يوصف بأقصى درجات التطرّف السلفي السنّي بتنظيم مضادّ يوصف كذلك بأعلى درجات التطرّف الشيعي(الإمامي)؟!. وكم من معجب سنّي و غير سنّي، بتجربة إيران والخميني وحزب الله،دون أن يعني ذلك قناعته بمذهب الإثني عشرية، من قريب أو بعيد. وكم من معجب بهما ليس متديّناً، بل قد لا يكون مسلماً من الأساس، لأسباب عِدّة يأتي في مقدّمتها الموقف الصُلب من الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني. وكم من خصم لهما، من أبناء الطائفة ذاتها. وبالمقابل كم من معجب بتنظيم القاعدة(السنيّة) وقادتها المعروفين بسلفيتهم (السنيّة) من شيعة وعلمانيين ومن أفراد كُثر غير مسلمين كذلك، نكاية بالولايات المتحدة

وغطرستها! فلا تلازم إذاً بين إعلان الإعجاب أو تلقي الدعم الإعلامي، أو حتى المادي – في ظروف معيّنة– بتجربة ما وقائد أو قادة ما وبين التبعية العقدية والفكرية المطلقة. وغاية ما في الأمر بالنسبة للحوثية– في ظل قيادة حسين الحوثي تحديداً– هو أنها قد التقت مع إيران وحزب الله – من الناحية العقدية والفكرية– على غير تخطيط مسبق في المسألة الجوهرية المتمثّلة في النيل من كبار الصحابة ولاسيما أبو بكر وعمر –رضي الله عنهما–، وجعل الولاية حكراً على آل البيت، وذلك مالا يمكن إنكاره بوصفه مستفيضاً جدّاً في الفكر الحوثي، وإن اختلفت الحوثية بعد ذلك كليّاً مع الإثني عشرية في مفهوم الولاية هذا وشروطه ومواصفاته. وذلك هو جوهر الفكر الزيدي (الجارودي) الذي بات الباحث مقتنعاً بتوصيف الحوثية في إطاره، ولا سيما في الفترة التي قاد فيها حسين الحوثي تنظيم الشباب المؤمن. ويستأنس هنا في استخلاصه هذا بشهادة طرفين ووسط، من الناحية الفكرية والمذهبية، بيد أنهم اتفقوا جميعاً على توصيف الفكر الحوثي ومؤسسه على نحو يقترب مما خلص إليه الباحث. أمّا الطرف الأول فسنّي سلفي، وأمّا الآخر فشيعي جعفري إمامي، وأما الوسط فزيدي متحرّر . وإليك البيان: أمّا الأول فهو الشيخ محمّد بن محمّد المهدي(رئيس جمعية الحكمة اليمانية في مدينة إب)، الذي قال في سياق مناقشة له بهذا الشأن:" ما يتعلّق بالأستاذ حسين الحوثي فرسائله بعد قراءتي لها، وصلت إلى القناعة التي أجبت عليها في بعض المقابلات الصحفية مؤخراً *أنه زيدي جارودي متأثر بالإثني عشرية في أمور، فيتكلّم في أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة في رسائله طولاً وعرضاً،وعنده غلو في مسألة إمامة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه– ... وأن المسألة مرتبطة بعلي وذريّته فقط– رضي الله عنهم– ... فعلى كل حال هو باختصار زيدي جارودي، أخذت ذلك من رسائله ، ومن أشرطته ...فإذاً لا يمنع من أن أقول لك : إنّه متأثر بالإثني عشرية ، مع كونه لا يستطيع أن ينكر أنّه زيدي*"(١٠٠).

وأمّا الآخر فهو الطالب الجعفري الذي تحوّل من الزيدية إلى الجعفرية حسن علي العماد الذي أجاب على سؤال:" هل صحيح أن الحوثيين اثني عشرية ؟" فأجاب:" (متأثرين [هكذا والصواب متأثرون] ببعض الأفكار الإثني عشرية" (١٠١).

أمّا الطرف الوسط– من وجهة نظر الباحث– فيمثّله الأستاذ محمّد يحيى سالم عزان الأمين العام الأسبق لتنظيم الشباب المؤمن، الذي خرج على التنظيم بعد بلوغه مرحلة المواجهة المسلّحة مع السلطة، وقد أجاب على سؤال :" هل ارتبطوا بالمذهب الاثنى عشري؟" بـــ:" لا" . وحين سئل فمن من أيّ أصول استمدت إذن؟" أجاب: "خليط من كل شيء، بعضها فيها طابع الفكر الجعفري، وبعضها السلفي، لا تستطيع أن تحدّد لها هوية" (١٠٢).

هذا فيما يتصل بحسين أما بالنسبة للأب بدر الدين فقد نفى تهمة الجعفرية عنه وعن ابنه. وفي معرض إجابته عن العلاقة مع الجعفرية وإقامة السيستاني علاقة مع الأمريكان في العراق، قال:" إن طريقة الزيدية مختلفة عن طريقة السيستاني الجعفرية". وفي إجابته على سؤال عن حقيقة اعتناق ابنه حسين للمذهب الجعفري نفى ذلك بالقول": " غير صحيح، هذه دعاية كاذبة مثلها مثل ما قالوا إنّه ادّعى النبوة والإمامة ، كلّه كذب"(١٠٣). ويؤكّد نفي ارتباط بدر الدين الحوثي بالجعفرية السيّد علي يحيى العماد (والد حسن المتقدِّم ذكره، وهو من أشهر الشخصيات اليمنية المعروفة بولائها الكبير لآل الحوثي، كما أنّه على علاقة متميّزة ببعض المرجعيات في إيران) نفى أن يكون بدر الدين الحوثي جعفرياً، معلّلاً سبب ما وصفه بهرب بدر الدين من إيران –بعد أن كان قد أقام فيها فترة قصيرة – بأنه تعرّض لمضايقات من بعض المراجع تهدف إلى اعتناقه للمذهب الجعفري، وتخلّيه عن الزيدي، وأضاف العماد أنّه قد تأكّد من حقيقة ذلك من ابنه عصام، وأنّه – أي علي العماد– صارح باستياء بدر الدين الحوثي أحد أعضاء مجلس الشورى الإيراني، واتهمهم بـــ(الجلافة)، مشيراً إلى أن عضو مجلس الشورى سأله عن مراده بـــ(الجلافة) فقال:" قلت له أن الوهابيين يأخذون الناس وهم صغار، ويربونهم على الوهابية، أما انتم تريدون أن تغيّروا مجتهداً وعمره أكثر من ٨٠ سنة، (١٠٤). ثمّ أكّد موقف بدر الدين من الجعفريه بسماعه شريطاً مسجّلاً له، يرفض فيه المذهب الجعفري وينتقده بشدّة، مختتماً حديثه بهذا الخصوص بأن من لايزال بعد كل ذلك يتهم بدر الدين الحوثي بأنه جعفري " فهو جاهل لأنه زيدي متعصّب" (١٠٥).

الحقيقة الثانية:

إن تأكيد الباحث على عدم مشايعة تهمة الارتباط العقدي والمذهبي للحوثي بالإثني عشرية الإمامية بل وقوفه ضدّها– كما تقدّم– لا يعني – بالمقابل– نفي سعي إيران سواء على المستوى الرسمي أم على مستوى بعض المرجعيات اللافت والدؤوب لسيطرة مشروعها المعروف، على كل مكان تستطيع أن تتمدد إليه، أو تجد لها موطئ قدم فيه، انطلاقاً من عقيدة تصدير الثورة المعلن، وما عاد مسلكها في العراق بحاجة إلى مزيد تدليل أو تأكيد. ويعترف أحد المتحوّلين من الزيدية إلى الإثني عشرية (واسمه حسن علي العماد) بالنفوذ الإيراني وأنّه صار يهدّد العرب، ولكنّه برّر ذلك بسبب ضيق بعض حكامنا في استيعاب " الشريحة الشيعية في بلادهم ، فكان المنفذ الوحيد للتغذية الفكرية الشيعية إيران " (١٠٦). وحين سئل: هل خدم شقيقه عصام الفكر الحوثي من خلال نشاطاته في إيران؟ أجاب:" تجار الفتن، كان لديهم

غايتان رئيسيتان [هكذا والأصوب رئيستان] من ضرب الحوثيين، ونجاح هاتين الغايتين مرهون بتحرّك إيران" (١٠٧).

يذكر أن عصام العماد غدا واحداً من أبرز المتحوّلين إلى الجعفرية في اليمن، بل صار يعرف بلقب (آية الله)، ويرأس ما يسمّى بالمجلس الشيعي الأعلى في اليمن، وإن ظل ذلك عنواناً لا تُعرف له حقيقة على الأرض، مع العلم أنّ عصاماً مختلف اختلافاً شخصياً حادّا مع أخيه حسن (١٠٨) . ولا ننس ما تقدّم ذكره آنفاً على لسان علي يحيى العماد؛ من أن بعض المرجعيات الإيرانية يئست من محاولة إقناع المرجع الزيدي بدر الدين الحوثي في التحوّل من الزيدية إلى الجعفرية، مما اضطره إلى الهرب منها. كما أن ذلك لا ينفي قيام معطيات موضوعية تشير إلى تبعية مقصودة مطلقة لبعض أفراد أو قيادات شيعية يمنية من غير المستبعد أن تستغل العباءة الحوثية لتتدثر بها – إذ هي سابقة في صعدة أو غيرها على إعلان تنظيم الشباب المؤمن – بهدف إحلال المذهب الشيعي الإثني عشري القادم من إيران وتصديره إلى اليمن. وتؤكّد ذلك بعض المعطيات الموضوعية على الأرض، مثل تبني بعضهم منظومة الأفكار الإثني عشرية– دعك من الصحابة وقداسة آل البيت– وتعليمها علانية للناشئة، قبل اندلاع المواجهات المسلّحة في بعض المراكز التابعة لبعض الرموز اليمنية المشتهرة بخلافها مع الفكر السنّي العام، بل إعلان ذلك عبر بعض الخطب المنبرية ودروس المساجد في أحيان نادرة، وبعض المناسبات الدينية، كذكرى استشهاد الحسين، والمولد النبوي ويوم الغدير، –وسيأتي قدر من التفصيل لهذا الأخير لاحقاً– والقيام بالتبشير بالفكر الإثني عشري عبر التوزيع المجاني اللافت للإصدرات الشيعية، مع ما يُعلم من مخالفتها للعقيدة الزيدية ومذهبها. وما صدور بيانين منسوبين في بعض مراحل القتال عن الحوزتين العلميتين بالنجف وقُم ووصف واقع الأحداث في اليمن بأنه اضطهاد للشيعة في اليمن بقسميها الزيدي والإمامي الإثني عشري، مما اضطر علماء اليمن للردّ عليهما(١٠٩)؛ إلا تأكيد على أن ثمّة اهتماماً خارجياً علنياً لا يخفى، وثمّة أفراداً من الشيعة الإمامية الإثني عشرية تنشط في البلاد. وقد صدر بيان منسوب إلى من وصفوا أنفسهم بالإثني عشرية اليمنيين صوّروا فيه الشيعة الزيدية والإثني عشرية بأنها مضطهدة منذ قيام الثورة اليمنية في سنة ١٩٦٢م، وأنه تم منذ ذلك التاريخ وبعده إعدام المئات من علماء الحوزة العلمية وطلبتها...إلخ(١١٠).

ويصرِّح حسن علي العماد بأنه " شيعي جعفري إثني عشري" جواباً على سؤال عن مذهبه (١١١). وحين سئل: "هل هناك مذهب اثنا عشري في اليمن؟ ومنذ متى؟ وكيف انتشر؟ " أجاب:" التشيع الإمامي الإثني عشري كان يظهر في اليمن ويقمع بشكل أو بآخر. حتى يقال

إن المطرفية الذين عاصروا الإمام عبد الله بن حمزة كانوا اثني عشرية، وأيضاً في زمان المتوكّل على الله إسماعيل(ع) في مناطق بني مطر وخولان، كان يؤذّن الشيعة بأشهد أن عليّاً ولي الله، ولكن وكما ذكرت سابقاً الحريّة العقائدية والفكرية التي عشناها من التسعينات إلى ٢٠٠٤هـ لم يسبق لها مثيل في اليمن ، وهي المرحلة الحقيقية التي نستطيع أن نقول إن وجود الإثني عشرية بدأ منها". بل ذهب إلى أبعد من ذلك حين قال:" أنا ذكرت بالدليل الجامع أن التشيّع الإثني عشري دخل إيران من اليمن". ويبرّر تحوّله من الزيدية إلى الإثني عشرية بقوله:" الزيدية تحكم اليمن منذ أكثر من ألف سنة ، وهذا المدّة كتجربة كافية لأي فكر أو نظرية أو مذهب حاكم لتثبيت السعادة المطلقة للبشرية، لكن هذا لم يتحقّق، إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على فشل هذه النظرية"(١١٢). وقد مرّ بنا أن عصام العماد شقيق حسن يعلن ترؤسّه لما يسمّى بالمجلس الشيعي الأعلى في اليمن!

كل ما تقدّم لا يعني – في نظر الباحث– أن الحوثي –ولاسيما في مرحلة المواجهة العسكرية– سيتردّد أو يمانع من استقبال مدد إيراني أو غير إيراني، مادي أو إعلامي، لحاجته الملحّة من جهة، ولاستغلال إيران –بقسميها المؤسسة الرسمية والمؤسسة الدينية– وقوع الأحداث وتغذية الحوثية ببعض المساعدات من سلاح ومال –عدا الدعم الإعلامي– من جهة أخرى(١١٣)، لكن ذلك لايؤذن – مرة أخرى– باستنتاج علاقة تبعية مذهبية مغلقة أو مطلقة بإيران أو بسواها، نظراً للموقف الصارم الذي أبداه حسين الحوثي – كما تقدّم– من أصول الإثني عشرية ومسلك نشر مذهبها في اليمن.

إلى يحيى الحوثي: ليته كذلك !

بعد كل ما تقدّم لا يرى الباحث منطقاً لذاك اللَّدد الذي ينكر البدهيات في حمأة الانتصار الأهوج للذات، والبحث عن إدانة وهمية لكل مختلف معه، فيفتح جبهات خاسرة مع كل الأطراف، كذاك الحديث الانفعالي(على نحو من الأنا المفرِطة، ووفق مفهوم احتكاري مغلق غريب) ليحيى الحوثي (شقيق حسين) عن الإمام زيد – في معرض ردّه على الباحث في مقالة سابقة للأخير بهذا الشأن عنوانها : (البُعد السياسي في الصراع المذهبي: اليمن أنموذجاً)–(١١٤). وأنه– أي يحيى– وآل البيت وحدهم من يفقهون موقف الإمام زيد من أبي بكر وعمر، بحيث عجزت الأمة ومؤرخوها في القديم والحديث، من السنّة والشيعة، عن إدراك موقف الإمام زيد الشهير، ممن رفض القتال معه، حين أبى النيل من أبي بكر وعمر

–رضي الله عنهما– في الحادثة الشهيرة–وقد أشار إليها الباحث من قبل– بمن في ذلك إمام الزيدية في اليمن مجد الدين المؤيدي ووالده بدر الدين (١١٥). وأغرب منه أن يستهجن كل مختلف مع فكره، متهماً له بأنه يعمل على إحياء الحديث عن الخلفاء الراشدين فيقول: " ثم لماذا تخوضون في أمر الخلفاء الأولين وما جرى بين الصحابة، وقد ذهبوا إلى سبيلهم ولستم عليهم بوكلاء، وليس بينكم وبينهم أي صلة، فلو كانوا حاضرين لضربوكم على خراطيمكم، ومنعوكم من موالاة الطاغوت، واستتابوكم من البدع، ولقاتلوا إلى جانب ذرية رسول الله(ص) كما قاتلوا مع رسول الله ومع أهل البيت وانقادوا لهم في حروبهم ضد المشركين،والمنافقين، والقاسطين والمارقين.

لقد كانوا من جنود الإسلام، وكانوا بايعوا رسول الله على أن يمنعوه وأهله مما يمنعون منه أنفسهم وأهلهم، فلو بعثوا الآن لذكروا ما في عنقهم من البيعة في دفاع عن أهل بيت رسول الله، ووقفوا في صفوفهم، يقاتلون، أما أنتم فأنتم من جنود بوش، فكيف تحسبون أنفسكم وفنادمتكم وأرباب الضلال وملوك الطغيان على أصحاب رسول الله، من أوهمكم بذلك...أين أنتم من عُمر الذي ما كان يخرج للاستسقاء إلا ويدعو العباس بن عبد المطلب ليتشفع به إلى الله في نزول المطر، فلو أن عمر فعل ذلك الآن لقلتم والله عمر قد هو شيعي، أو هو مشرك" (١١٦).

وكم كان يتمنّى الباحث لو كان ثمّة حقيقة علمية أو عملية في حديث السيّد يحيى الحوثي، إذاً لكفى الجميع مؤنة البحث في مسألة مؤرقة لكل دعاة الوحدة الإسلامية الجادّين، وهل يهدف كل باحث نزيه إلا إلى تحقيق عوامل الوحدة والتعايش، ومحاربة عوامل الشقاق والفُرقة؟!.

لقد دفع الحديث السابق للسيّد يحيى الحوثي بالباحث إلى التأمّل في تعقيب صديق يحيى القديم السيّد محمّد سالم عزان على حوار الأول في قناة الحوار الفضائية حين قال عزّان:" وأنا أعرف تماماً أن الأخ يحيى نفسه لا يتفق مع بعض أفكار الأخ حسين ولا يمثل توجّهه، لذلك نجد كثيراً من المسئولين عن المواجهة في صعدة لا يعتبرونه ممثلاً لهم ولا ناطقا باسمهم، بل سمعنا بعضهم يتبرؤون منه ويصفونه بأوصاف قبيحة، فلا يصح له أن يقدِّم نفسه على أنه ناطق باسمهم، إلا إن كان قد أصبح مؤمناً بأفكارهم"(١١٧). فإذا صحّ أن السيّد يحيى غير مؤمن بفكر أخيه في النيل من الصحابة فما الذي يزعجه في وصف الإمام زيد أولئك الذين رفضوا القتال معه، واشترطوا ذمّه للشيخين: أبي بكر وعمر، بـــالوصف التاريخي الشهير (الرافضة)؟– وإن كان الباحث يحرص على عدم استخدام ذلك الوصف في دراساته ومقالاته لما يثيره من حساسية لدى الإخوة الجعفرية –، ثم لِم لا يُعلن يحيى موقفه ممن يسيء إلى الصحابة؟ وحينها لا يسع المرء الصادق– ناهيك عن الباحث المنهجي– إلا أن يبارك هذا التحرّر والإنصاف. وإلى أن يأتي ذلك اليوم– إن أتى– ستظل علامتا الاستفهام والتعجّب

قائمتين، مادام أن الرجل لم يعلن شيئاً من ذلك حتى الآن، بل يمضي في استخفافه بكل من يقول ما يعتقده صواباً من خلال الأدبيات والوثائق، -وليس من خلال أحكام مسبقة أو متداولة وسط الخصوم كما يفعل آخرون-.

إن يحيى يعلم- قبل غيره- مدى التشنيع الذي يجاهر به شقيقه- وهو رأس المدرسة ومؤسسها وكبيرها- إزاء الخليفتين – أبي بكر وعمر -بوجه خاص-، في كثير من دروسه ومحاضراته وملازمه، حتى إنّه ليصوّر فترة الخلفاء الراشدين كغيرها من فترات الملك العضوض، وعهود الانحطاط الثقافي والحضاري، ويربط بينهم وبين علماء السوء عبر التاريخ – بلا تمييز- وإن دعاة التطبيع والصهينة اليوم إن هم إلا امتداد لفترة الخلفاء الراشدين وما يعدّه في سلك تلك الفترة. وفي هذا يقول :

" و نحن نعرف – من نتعلم ومن نحمل علماً – ما أخطر ما أخطر ما تجني على نفسك وعلى الأمة باسم عالم وباسم علم. عندما رفعوا أصواتاً مثل تلك أيام أبي بكر أيام عمر ، أيام عثمان، أيام معاوية ، أيام يزيد، أصوات كانت تُرفع، وهكذا على طول تاريخ الأمة الإسلامية إلى اليوم نقول لهم: انظروا ،انظروا دَجَّنْتُمونا لأولئك فدجنونا لليهود ، وكما كنتم تقولون لنا أن نسكت، أسكتوا لا ترفعوا كلمة ضد هذا الخليفة أو هذا الرئيس ، أو ذلك الملك أو هذا الزعيم. هم اليوم يقولون لنا: اسكتوا لا تتحدثوا ضد أمريكا وضد إسرائيل. فما الذي حصل؟. ألم يقدم علماء السوء القرآن الكريم والإسلام كوسيلة لخدمة اليهود والنصارى في الأخير؟" (١١٨).

بل إنّ الباحث النزيه ليعجز عن أن يجد مخرجاً جميلاً، أو محملاً حسناً، أو حتى تأويلاً بعيداً، لحديث حسين المصرَّح بتكفير كل من اعترف بخلافة أبي بكر وعمر وعثمان، وعدّه كافراً ، لأنه- في ظنّه- منكر لحق علي في الخلافة حين يقول: "*وكما قال تعالى :{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} (المائدة:٦٧) أي الرافضين لما أمرت بإبلاغه يرفضون ولاية الإمام علي- عليه السلام- إذ كان ذلك هو الذي أمره الله بإبلاغه في هذه الآية كما نص على ذلك الإمام الهادي- عليه السلام- وغيره، يرفضون ما تبلغهم به يا محمد، ليسوا مستعدين أن يقبلوه ، هذا هو كفر ؛لأن الكفر كله ــ وإن اختلف حكمه ــ إنما هو الرفض، لم يكن العربي الكافر بالله، ذلك الذي يعبد الصنم لم يكن كافراً بالله بمعنى أنه غير مؤمن بوجود الله كانوا مؤمنين بوجود الله والقرآن تحدث عنهم {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ }(الزخرف: من الآية٨٧) {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ} (الزخرف:٩) . أليس هذا في القرآن؟. لكنهم كانوا رافضين الإيمان برسول الله محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)، رافضين الإيمان بوحدانية الله سبحانه وتعالى فسماهم*

كافرين.الكفر هو الرفض ،هو أن لا تكون مستعداً أن تلتزم وتعمل ،هذا هو كفر، وإن كان حكمه يختلف" (١١٩).

والحديث عن ولاية الإمام علي– رضي الله عنه– مقترن بحديث الغدير، فماذا يعني إصرار الحوثية على إحياء عيد الغدير اليوم، على ذلك النحو، واستماتتهم في سبيل ذلك؟ وها هو ذا يحيى الحوثي ذاته في رسالته الموجّهة إلى علماء ومشائخ اليمن كافة، بتاريخ ١٦\٥\٢٠٠٧م ليجعل واحداً من مطالب الحوثية في إيقاف الحرب ضرورة اعتماد المناسبات الدينية ونص على إحياء يوم الغدير كمثال على ذلك (١٢٠). وكذا جعله شقيقه عبد الملك واحداً من أبرز شروط أي اتفاق يعقد مع السلطة (١٢١).

أليس حاصل مدلول إحياء الغدير البراءة من أبي بكر وعمر اللذين اغتصبا الخلافة – بنظرهم– مخالفين لتوجيه النبي– صلى الله عليه وآله وسلّم– للصحابة في يوم غدير خم، " اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه" ؟

ثم ماذا يعني إقامة الحوثية ذلك الحفل المشهود يوم ٢٠ رمضان١٤٢٩هـ– ٢٠سبتمبر٢٠٠٨م، أي بعد مرور نحو شهرين من إعلان نهاية الحرب الخامسة، بجامع الهادي الكبير بمدينة صعدة، بمناسبة ذكرى استشهاد الإمام علي بن أبي طالب– رضي الله عنه وكرّم وجهه– حيث نقلت بعض المصادر الإعلامية تسجيلاً موثّقاً عن جملة ما دار في الحفل، وحاصله الإساءة العلنية أمام الجماهير المحتشدة، لأبي بكر وعمر، والتنقيص الصريح، والشتم المقذع للخلفاء الراشدين (١٢٢). مؤسف حقّاً –بعد كل ذلك– أن يخرج علينا السيّد يحيى الحوثي مسفّاً في حديثه، حين يأبى إلا قلب الحقائق، فينال من كل باحث –مهما تحرّى النزاهة والموضوعية– واصماً له بالجهل في معرفة رأي الحوثية، تجاه أبي بكر وعمر، مع أن ذلكم لسان الحال والمقال. ومرّة أخرى ليت الأمر كما زعم يحيى!!

شاهدان آخران:

وثمة جملة شواهد تشير إلى مدى التأثر بالعامل الخارجي لعل من أبرزها –بالنسبة للحركة الحوثية– الشاهدين التاليين:

١– إحياء يوم الغدير:

يحتفل الشيعة الإثني عشرية في مختلف أماكن وجودهم، وفي كل بقعة من العالم، في يوم الثامن عشر من ذي الحجة من كل عام، بيوم الغدير، إذ يرجع أصله إلى حديث مروي صحيح في جوهره لدى الشيعة ولدى السنّة معاً، غير أن الاختلاف حدث في زيادة بعض ألفاظه،

وتأويل كل منهما له، وأصله ورد في صحيح مسلم– لدى السنّة– وفيه " ثم قام رسول – صلى الله عليه وسلّم– يوماً فينا خطيباً بماء يُدعى خُمًّاً بين مكة والمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه ، وذَكَّر .... " الحديث (١٢٣). وفي حديث أخرجه النسائي(ت:٣٠٣)، بلفظ: "من كنت مولاه فعلي مولاه" وبنحوه من الألفاظ (١٢٤). وبلفظ" من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه"(١٢٥) . وقال الحافظ ابن حجر(ت:٨٥٢هـ) عن حديث:" من كنت مولاه فعلي مولاه" :" وهو كثير الطرق جدّاً، وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، وكثير من أحاديثها صحاح"(١٢٦). وقال الحافظ الألباني(ت: ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م) بعد أن أورد الحديث كاملاً بلفظ:" من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من واله وعاد من عاده"، وبعد تحقيق ونقاش في الروايات والسند مطوّل:" وجملة القول إن حديث الترجمة حديث صحيح بشطريه، بل الأول منه متواتر عنه– صلى الله عليه وسلّم– – كما يظهر لمن تتبع أسانيده وطرقه، وما ذكرت منها كفاية" (١٢٧). ثمّ قال:" إذا عرفت هذا فقد كان الدافع لتحرير الكلام على الحديث أنني رأيت شيخ الإسلام ابن تيمية، قد ضعّف الشطر الأول من الحديث، وأما الشطر الآخر فزعم أنّه كذب، وهذا من مبالغاته الناتجة في تقديري من تسرّعه في تضعيف الأحاديث، قبل أن يجمع طرقها، ويدقّق النظر فيها، والله المستعان" (١٢٨).

وثمّة نزاع حول بداية الاحتفال بيوم الغدير في اليمن، هل هو ظاهرة جديدة أتى بها الحوثيون في السنوات الأخيرة ؟ أم أنها من الطقوس القديمة التي كان يحييها الزيدية اليمنيون في الماضي، ثم توارت مع قيام الثورة اليمنية في ١٩٦٢م؟ أم أنها قديمة متصلة، لم تنقطع، بيد أن الضجّة ارتبطت بالخلاف مع الحوثي؟

ويقرّ الرئيس اليمني علي عبد الله صالح أن الاحتفال بيوم الغدير كان جزءاً من التقاليد التي كانت سائدة في اليمن في السابق، بيد أنّه يعدّ ذلك شارة على سياسة العهود الإمامية التي سقطت آخر دولها في ١٩٦٢م (١٢٩)؛ فيما يؤكّد المرجع الزيدي بدر الدين الحوثي أن احتفالات الغدير كانت موجودة في السابق لكن ما جعلها ظاهرة على هذا النحو إنما هو إجراء السلطة تجاهها بالمنع، عادّاً للاحتفاء بهذه المناسبة مصلحة دينية، لما فيها من إظهار ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(١٣٠).

ويذهب محمّد بدر الدين شقيق حسين الأكبر إلى أن الاحتفال بيوم الغدير كان يتم في معظم المحافظات الشمالية منذ مئات السنين" (١٣١).

وحسب اطّلاع الباحث ومتابعته؛ فإن أحداً ممن يعوّل عليه في هذا الشأن لا ينكر أن هذه الطقوس كانت تقام في قرون وعقود سابقة، نظراً لحضور المذهب الزيدي (الجارودي) في

اليمن منذ قرون متطاولة، وإن ظهرت أحياناً تحت عنوان آخر عُرِف في بعض المناطق بـــ(يوم النشور).

ويذكر بعض المؤرخين أنّ أول من أدخل الاحتفال بعيد الغدير إلى اليمن هو أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمّد، الإمام المهدي(ت:١٠٩٤هـــ) في القرن الحادي عشر الهجري، في زمن عمّه الإمام المتوكِّل إسماعيل بن القاسم بن محمّد. وقال عنه إنه:" أول من احتفل بشعار الغدير، برفع الأعلام والألوية في اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة سنة ١٠٧٣هـــ، وسار بهذا الموكب إلى حَبور، حيث كان الإمام المتوكّل إسماعيل ، فارتفع للشيعة شنار "(١٣٢). وبوسع الباحث أن يؤكِّد سلامة الرواية التي مفادها بأن الاحتفاء بالغدير ظل مقتصراً إلى ما قبل هذا التطوّر في السنوات الأخيرة –حسب بعض من عاش فترة العهد الملكي، أي ما قبل ١٩٦٢م– على مجرّد الإيذان بنهاية الاحتفال بعيد الأضحى، لينتشر الناس بعدها، فيعود كل إلى عمله، على نحو الانتشار المأذون به بعد أداء صلاة الجمعة في قول الله –تعالى–:{فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض...}(الجمعة:١٠)، إيذاناً بعودة كل إلى عمله.وفي هذا السياق يفيد العلّامة القاضي محمد بن إسماعيل العمراني بأن احتفال اليمن في أيام الملكية منذ أن عرف نفسه إلى يوم الثورة كان " الاقتصار على مدح أمير المؤمنين علي– رضي الله عنه– وذكر ما ورد عن النبي – صلى الله عليه وعلى آله وسلّم – في الثناء عليه، والتعرّض لسيرته– رضي الله عنه– من غير كلام على أفاضل صحابة النبي – صلى الله عليه وعلى آله وسلّم "*

ومن المؤكّد أنّه لم يكن بهذا الصخب الذي غدا يُعرف به في السنوات الأخيرة– إذ

- هذه نص إجابة خطّية للقاضي العمراني بتاريخ جمادي الأولى ١٤٣٠هـــ على سؤال للباحث بهذا الشأن.

كان يقتصر على (البَرَع) أي الرقص الشعبي والأهازيج ، والزغاريد، والقصائد، والرماية على نحو محدود، على خلاف ما يحدث اليوم إذ يحتشد الناس من مختلف مناطقهم إلى جبل (المخروق) بمنطقة الحمزات، شمال شرق صعدة،

ليطلقوا وابلاً كثيفاً من الرصاص على صدر الجبل، بمختلف الأسلحة، وقد تحدث إصابات بين بعض الأفراد الحاضرين للمناسبة – عن طريق الخطأ–، وبعضهم يجعل من ذلك الجزء المستهدف من الجبل رمزاً لـــ(معاوية بن أبي سفيان)، إذ هو الذي نازع الإمام عليّاً الخلافة وقاتله على ذلك، وورّث ابنه يزيداً الحكم من بعده! ، وبعضهم قد يصحب صغاره ليستمتعوا بالرماية كالكبار، حيث يستمر إطلاق الرصاص حتى الظهر، ثمّ ينتقل كل إلى جهته، على أمل أن يلتقي الكثير منهم في مقيل القات، بعد الظهر، ليتواصل الحديث عن هذا الحدث المثير المؤكِّد على أحقيّة الإمام علي بالخلافة نصّاً، في حين اغتصبها غيره بغير وجه حق!(١٣٣).

وتمثّل مسألة الغدير هذه قضية مطلبية (شرعية) لدى الحوثيين، بحيث لايبدون تجاهها أية مرونة أو تنازل، بل يلفت النظر بشدّة إدراجهم إياها في أولوية بنود أي اتفاق يبرم، أو يقدّم للتفاوض حوله مع السلطة. وقد سئل عبد الملك الحوثي الأخ الأصغر لحسين، والقائد الميداني أثناء المعارك السابقة بعد وفاة حسين، لماذا تتمسكون بإحياء مناسبة (عيد الغدير) وما الهدف من إحيائها؟ فأجاب:" من حقوقنا المكفولة لنا الحق في إقامة وممارسة شعائرنا ومناسباتنا الدينية التي يُطلق عليها عيد الغدير أو يوم الغدير وهي مناسبة هامة جداً تثقف الأمة بالرؤية الإسلامية في موضوع كبير ومهم هو موضوع الولاية في الإسلام وحادثة (غدير خم) هي معلومة ثابتة لا يشكك فيها إلا من يجهل التاريخ، وهي تقدم رؤية تحتاج إليها الأمة لمواجهة ولاية الغرب على أبناء العالم الإسلامي.

ونفى أن يكون أتباعه ممن يستخدم السلاح أو يطلق النار في منطقة (المخروق) مؤكِّداً: " ليسوا من أصحابنا وذلك معروف للجميع ، أما نحن فمنذ سنوات التزمنا عدم إطلاق النار في المناسبات الدينية وغيرها كالأعراس لأسباب متعددة في مقدمتها الحفاظ على الناس من الأضرار التي تحصل نتيجة تساقط الرصاص عليهم من الجو". (١٣٤).

المشكلة في مدلول الاحتفال:

والحقيقة أن مشكلة الاحتفاء بتلك المناسبة لم تكن لتثير ذلك النزاع لولا أنها لا تعني سوى مدلول واحد لا سواه، بالنسبة للمحتفين. ومهما حاول الباحث أن يجد تأويلاً يعذر فيه المحتفي بذلك اليوم، أو محملاً مقبولاً، أيّاً ما اختلف غيره معه فيه؛ فلن يجد سوى تأكيد القوم على أن الإمام عليّ بن أبي طالب– رضي الله عنه– هو الخليفة الشرعي الوحيد بعد وفاة رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلّم– وأن من صار خليفة بعد رسول الله ثم من يليه، ثم من يليه، جميعهم مخالفون لتوجيه النبي–صلى الله عليه وآله وسلّم– القاضي بأن يكون علي الخليفة المباشر بعده، بل هم مغتصبون للخلافة، لأن النبي– عليه الصلاة والسلام– دعا لكل من والى علياً بالولاء لله والنصر منه – ومقصودهم أن يجعله والياً على المسلمين بعد رسول الله مباشرة – كما دعا على من خالف ذلك بالخذلان . وإذاً فإن الاحتفاء لا يعني سوى هذا المدلول لا سواه. بل يذهب حسين الحوثي إلى أبعد من ذلك؛ حين يصرّح أن مبعث افتخاره أنه ينتمي إلى آل البيت المنزهين عن الخطأ، في مقابل أهل السنة الملفّقين لخطايا الخلفاء الراشدين السابقين، ومحاولة تحويلها إلى حسنات، لكونهم ملطّخين بعار المخالفة للرسول – صلى الله عليه وآله وسلّم– في الولاية ابتداء. يقول: "ألم نقل في مقام آخر إن من الفخر لنا، أن قدواتنا من أهل البيت ، ليسوا من أولئك الملطخين بعار المخالفة للرسول **(صلى الله عليه وعلى آله وسلم)**، الملطخين بالأخطاء والمساوئ، والمواقف السيئة، فنجهد أنفسنا في الدفاع عنهم وفي تَنْمِيق مظهرهم.

قدواتنا من أهل البيت هم من أولئك المنزهين المطهرين الكاملين في أنفسهم بإكمال الله لهم، ممن يشرفنا أن نقتدي بهم. فأنت لا تخجل إذا ما قلت أن وليّك الإمام علي بن أبي طالب – عليه السلام– ، عد إلى الإمام علي –عليه السلام– تعرّف على الإمام علي–عليه السلام– تجد أنه بالشكل الذي يشرِّفك ،بالشكل الذي يجعلك تفتخر بأنه إمامك ،بأنك تتولاه. ولكن انظر إلى الآخرين كيف يتعبون أنفسهم وهم دائماً يدافعون عمن يتولونهم ، يحرفون معاني القرآن من أجلهم ، يحرفون معاني كلام رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) من أجلهم. يعملون على أن يحولوا سيئاتهم إلى حسنات ، يعملون على أن يقدموهم للأمة كأعلام. ولكن يكفينا شهادة على أنهم ليسوا ممن يمكن أن نفخر بهم إذا ما انتمينا إليهم أننا نجدكم أنتم تتعبون أنفسكم وأنتم تغطّون على خطيئاتهم ،وعلى قصورهم ونقصهم" (١٣٥).

ومع التأكيد على صحّة أصل حديث الولاية في بئر خمّ، لكن تُرى هل تجدي الإشارة إلى أن بعض كتاب السِّيَر قد أشار إلى مناسبة ذلك الحديث في ذلك اليوم بما حاصله " أن عليّاً لما بعثه رسول الله –صلى الله عليه وسلّم– أميراً هو وخالد بن الوليد، ورجع علي فوافى رسول الله– صلى الله عليه وسلّم – بمكة، في حجّة الوداع، وقد كثرت فيه المقالة،وتكلّم فيه بعض من كان معه، بسبب استرجاعه منهم خلعاً كان خلعها نائبه عليهم، لمّا تعجّل السير إلى رسول الله– صلى الله عليه وسلّم– ، فلمّا تفرّغ رسول الله من حجّة الوداع؛ أحبّ أن يبرئ ساحة علي مما نسب إليه، من القول الذي لا أصل له"(١٣٦) .

وقد روى محمّد بن إسحاق بسنده عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن ركانة قال: "إنما وجد جيش علي بن أبي طالب الذين كانوا معه باليمن، لأنهم حين أقبلوا خلّف عليهم رجلاً، وتعجَّل إلى رسول الله– صلى الله عليه وسلّم– قال: فعمد الرجل فكسى كل رجل حُلّة، فلما دنوا خرج عليهم عليّ يستلقيهم، فإذا عليهم الحُلل، قال علي : ما هذا ؟قالوا: كسانا فلان، قال" فما دعاك إلى هذا، قبل أن تقدم على رسول الله، فيصنع ما شاء، فنزع الحلل منهم، فلما قدموا على رسول الله اشتكوه لذلك، وكانوا قد صالحوا رسول الله، وإنما بعث عليّاً إلى جزية موضوعة" (١٣٧).

وقد علّق على ذلك ابن كثير(ت: ٧٧٤هـ) قائلاً:" قلت هذا السياق أقرب من سياق البيهقي، وذلك أن علياً سبقهم لأجل الحج، وساق معه هدياً، وأهلّ بإهلال النبي – صلى الله عليه وسلّم– فأمره أن يمكث حراماً، وفي رواية البراء بن عازب أنه قال له: " إني سقت الهدي وقرنت. والمقصود أن عليّاً لما كثر فيه القيل والقال، من ذلك الجيش، بسبب منعه إياهم استعمال إبل الصدقة، واسترجاعه منهم الحُلل التي أطلقها لهم نائبه، وعلي معذور فيما فعل، لكن اشتهر فيه الكلام في الحجيج، فلذلك– والله أعلم– لما رجع رسول الله– صلى الله عليه وسلّم– من حجّته، وتفرّغ من مناسكه، ورجع إلى المدينة، فمرّ بغدير خمّ، قام في الناس خطيباً، فبرّأ ساحة علي، ورفع من قدره، ونبّه على فضله، ليزيل ما وقر في نفوس كثير من الناس"(١٣٨).

لعلّ في هذا التوضيح إزالة للبس قد يطرأ على القارئ الباحث عن الحقيقة، إذ يجد أن أصل الحديث ثابت في صحاح أهل السنّة، لكنهم ينكرون ذلك الاحتفاء بذلك اليوم، ناهيك عن أنهم يدافعون بشدّة عن مشروعية خلافة أبي بكر، ثم عمر، ثم عثمان– رضي الله عنهم–.

الحق أن إشكال الاحتفاء بالغدير يصل حدّ المخالفة لمنهج الإمام زيد– رضي الله عنه– ذاته، إذ سبق القول بأن جوهر نزاعه مع من كان معه من أصحابه، ثم انفض عنه، بعد ذلك، إنما كان بسبب مطالبتهم التبرؤ من خلافة أبي بكر وعمر. وحين رفض زيد ذلك، لم يجد أنسب من وصف (الرافضة) لمن اشترط عليه النيل منهما، لصحبته والقتال معه.

ولو أن الأمر ظل على نحو ماكان عليه في السابق في كثير من المناطق التي كانت تحيي هذه المناسبة، بعيداً عن الدعوة الضمنية الجديدة إلى الفتنة، حيث الإساءة إلى رموز الأمة الكبار: الخلفاء الثلاثة؛ وجرح مشاعر جماهير أهل السنة – من ثمّ– لكان الأمر مقبولاً.

وصحيح ما أشار إليه عبد الملك الحوثي من أن حادثة (غدير خم) معلومة ثابتة لا يشكك فيها إلا من يجهل التاريخ، ولكنه أغفل أن تفسير من لا ينكرها من طرف أهل السنّة مختلف تماماً عن تفسيره ومن يتابع– كما سبقت الإشارة إلى ذلك–. ثم إن من المغالطة أن يبرّر عبد الملك ذلك بقوله:" وهي تقدم رؤية تحتاج إليها الأمة لمواجهة ولاية الغرب على أبناء العالم الإسلامي"، إذ لا علاقة لذلك ألبتة بمواجهة غرب من أية جهة، بل هي تقدّم هدية نفيسة نادرة إليه، حيث تسهم بقسط وافر في مزيد من إذكاء الفتنة بين أبناء العالم الإسلامي وطوائفه، وتحقّق الشعار الاستعماري القديم الحديث(فرّق تسدّ)!

وليت الحكمة تسود، فإن كان ولا بدّ فليُتفق على حصر الاحتفاء بالمدلول الذي كان سائداً قبل التأثّر الخارجي الصريح، وفي ذلك حلّ وسط، في حال إصرار الطرف الحوثي عليه، وكما تم التنازل عن إطلاق الرصاص لما ينتج عنه من مفاسد، فإن الإساءة إلى رموز الأمة الكبار وأتباعهم أعظم مفسدة، وأسوأ عاقبة.

٢– الشعار الجديد:

للمرء أن يقف طويلاً أمام قصة الشعار(الله أكبر، الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل، اللعنة على اليهود، النصر للإسلام) ،واختيار المساجد الجامعة لترديده، واستبسال حسين الحوثي وأتباعه في سبيله، إذ يتعرّضون للسجن المديد، والملاحقات الأمنية، ويرفضون أية تعهدات منهم، لإخلاء سبيلهم بعد فترة احتجاز بعضها طويل.

و في تقرير مقدّم إلى بعض إصدارات الأمم المتحدة أفاد مصدر وُصِف بذي الاطلاع في صعدة أنه كان "قد التف حول الحوثي عدد كبير من الشباب في صنعاء، وبدؤوا يرددون شعار "الموت لأمريكا" و"الموت لإسرائيل" في المسجد الكبير بالمدينة بعد صلاة الجمعة، مما أربك الحكومة وأثار قلقها". ووفقا للمصدر ذاته "ألقت الحكومة القبض في عام ٢٠٠٤م على ٨٠٠ شخص من أنصار الحوثي في صنعاء، كانوا قد رفضوا التوقف عن ترديد الشعارات". ويقول المصدر إن "إصرارهم على ترديد الشعارات جذب إليهم انتباه السلطات، وزاد من مخاوفها وقلقها حيال مدى تأثير التيار الحوثي، حيث اعتقدت السلطات الأمنية أن ترديد أنصار الحوثي شعار الموت لأمريكا، سيشجعهم في ما بعد على ترديد شعار الموت للرئيس [اليمني] "(١٣٩).

وتعزى شرارة المعركة التي اندلعت في صورتها العسكرية بين القوات الحكومية وبين جماعة الشباب المؤمن(الحوثية) إلى هذا الشعار. وقد أفصح الرئيس اليمني علي عبد الله صالح عن

ذلك في غير ما مناسبة، منها أثناء لقائه بعلماء المذهب الزيدي، حين صرّح بأن الحوثي يصرف مائة دولار لكل من يذهب إلى صعدة أو صنعاء ليردَّد هذا الشعار (١٤٠). أو في كلمته في اختتام الدورة السابعة للخطباء والمرشدات، حين برّر الإجراءات الأمنية ضدّ مردّدي الشعار لأنه يتسبّب في حصار اليمن، وإدراجه ضمن "قائمة الإرهاب، ووصفِه بأنه بلد التطرف والإرهاب"(١٤١).

قصة الشعار من طهران إلى مرّان:

تعود قصة هذا الشعار إلى بداية الثورة الإسلامية في إيران ١٩٧٩م حين رفعه الإمام الخميني في وجه الشاه، وصار أتباعه يردّدونه في حماسة لافتة، وكان له– أي للشعار– دويّه المؤثّر في النفوس، لذلك ظل مصاحباً لعمر الثورة، ولايزال يردّد في المساجد ونحوها، وانتقل إلى لبنان، بحكم الوجود الشيعي هناك.

وفي ٢٠٠٢\١\١٧م أطلق حسين الحوثي هذا الشعار من قاعة مدرسة الإمام الهادي في مَرَّان ــ صعدة ، وطلب من الحضور أن يردّدوه، وسط مطالبة عاطفية عاصفة بعمل شيء في وجه الاستكبار الأمريكي(١٤٢).

وقبل أن يدعو الحضور إلى الصرخة بالشعار قال لهم:" نعود من جديد أمام هذه الأحداث لنقول: هل نحن مستعدون أن لا نعمل شيئاً؟ [هكذا ولعله يقصد أن نعمل شيئاً]. ثم إذا قلنا نحن مستعدون أن نعمل شيئاً فما هو الجواب على من يقول (ماذا نعمل؟).

أقول لكم أيها الإخوة: اصرخوا ، ألستم تملكون صرخة أن تنادوا:

[الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

أليست هذه صرخة يمكن لأي واحد منكم أن يطلقها؟. بل شرف عظيم لو نطلقها نحن الآن في هذه القاعة فتكون هذه المدرسة ،وتكونون أنتم أول من صرخ هذه الصرخة التي بالتأكيد – بإذن الله – ستكون صرخة ليس في هذا المكان وحده، بل وفي أماكن أخرى ،وستجدون من يصرخ معكم – إن شاء الله – في مناطق أخرى:

[الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

هذه الصرخة أليست سهلة ، كل واحد بإمكانه أن يعملها وأن يقولها؟.

إنها من وجهة نظر الأمريكيين – اليهود والنصارى – تشكل خطورة بالغة عليهم.

لنقل لأنفسنا عندما نقول: ماذا نعمل؟. هكذا اعمل، وهو أضعف الإيمان أن تعمل هكذا، في اجتماعاتنا، بعد صلاة الجمعة،وستعرفون أنها صرخة مؤثرة، كيف سينطلق المنافقون هنا وهناك، والمرجفون هنا وهناك ،ليخوفونكم،[هكذا والصواب ليخوِّفوكم] يتساءلون :ماذا؟، ما

هذا؟" (١٤٣). وأغرق في حديث الحثّ والتعبئة لضرورة ترديد هذا الشعار ، وجعله أشبه بواحد من الطقوس العبادية (واجبة الالتزام)(١٤٤).

وفي حديث آخر يسعى لأن يقلّل من التبعة المترتبة على من يرفع هذا الشعار ويردّده في الحقبة الراهنة فيقول:" بعض الناس قد يقول: إذا رفعنا شعار (الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل) سيضربوننا بصاروخ. هم لا يضربونك، كم يكلف الصاروخ؟. هل تعتقد أنهم مثلنا إذا حقد على الآخر فسيفجر كل شيء في رأسه، لا. أليس لديهم أسلحه نووية؟ أليسوا يخافون من إيران ويكرهون إيران جداً؟ لماذا لا يضربون إيران؟. بتفكيرنا قد نقول : لماذا لا يضربون بقنابل على إيران ويسحقونها؟.

هم حكماء وليسوا بُلَداء، يعرف أنه أَن أَضرِب دون أن أكون قد مهدت الأجواء حتى أجعل الآخرين أعجل مني على ضرب صاحبهم إذاً سأخسر، لن أضربك إلا بعد أن أرى الناس من حولك قد أصبحوا مشتاقين أن يروك تُضرب، وسيدفعون ويساهمون في قيمة الصاروخ إذا رأوك تُضرَب" (١٤٥).

وفي ثنايا دعوة حسين الحوثي أتباعه إلى فلسفة الشعار ومغزاه وتأثيره؛ نراه يؤكّد أن الأمريكان حين غضبوا من رفع الشعار؛ راحوا يوجّهون بمسح الشعار في صعدة وصنعاء وإيقاف ترديده، لأنه يتعارض مع خططهم ويكشف مؤامراتهم، وإن برّر ذلك السفير الأمريكي بصنعاء بأنه لا يرغب في أن يتحوّل الصراع بين أمريكا والعالم الإسلامي إلى صراع ديني، وعزى الحوثي انزعاجهم إلى قوّة الشعار وتأثيره، رغم أنه ليس في صورة مظاهرة، وليس طيلة الوقت، بل في نصف دقيقة، بعد صلاة الجمعة، يُردّد ثلاث مرّات في الأسبوع، وهو ما يكشف حقيقة شعارات الأمريكان حول الحرّية والديمقراطية وحقوق الإنسان، بعد أن يتعرّض بعض مردّدي الشعار إلى السجن لمدة ثلاث سنوات – على حدّ تعبيره– (١٤٦).

ومنذ ذلك الحين صار الشعار جزءاً من المراسيم (الحوثية) الأساسية في أية فعالية ثقافية، إذ تتخلّل المحاضرات والدروس، وقد تأتي في نهايتها، أو تعقب صلاة الجمعة.

شعار مقدّس:

وبعد اندلاع شرارة المواجهات بين الجيش والحوثيين ، وبعد مرور شهر تماماً على إعلان الحرب تحدّث حسين الحوثي إلى بعض الإذاعات الناطقة بالعربية عن الحرب وأسبابها مقرّاً أن الشعار هو العنوان الأبرز لذلك، ومشيراً إلى أن الرئيس كان قد أرسل إليه قبل اندلاع المواجهات بنحو شهرين من يطلب منه التوقف عن الشعار، لكنه علّل عدم الاستجابة بالوعد والوعيد اللذين صاحبا هذا(الإنذار)، أما بعد الحرب فجاءه رسل ليسلّم نفسه،فرفض ذلك، وأضاف أنه مهما كان هناك من محاولة لتضليل الرأي العام حول الذي يجري فإن : الناس في اليمن يعرفون أن عملنا ليس جديداً، منذ حوالي سنتين ونصف"(١٤٧).

وفي حوار مخصّص للشعار وتداعياته يقرّ عبد الملك الحوثي الشقيق الأصغر لحسين أن الشعار هو السبب المباشر في كل التداعيات اللاحقة، لكنه أشار في معرض إجابته أن اتفاق الحرب الأولى لم يكن من بنوده الامتناع عن رفع الشعار أو ترديده، و برّر ما حدث من قبلهم بأنه دفاع عن النفس في وجه القوات الحكومية. كما سعى لتبرير بقاء الشعار ، مهما كلّف الأمر، بوصف ذلك حقّاً مكفولاً لأي مواطن، معلّلاً شرعية الاستمرار في رفع الشعار بأن:" لدينا شرعية إلهية قرآنية ضدّ أي معتدٍ، ولو كانت الدولة ذاتها، يقول الله تعالى:{ ولمن انتصر بعد ظلم فأولئك ما عليهم من سبيل} ، مضيفاً –في سياق سؤال عن كون الشعار كان سبب تأجيج الفتنة فكيف سيصبح حلاً؟ أو سينصر مظلوماً؟– بأن "الشعار هو أقل ما يمكن فعله في مواجهة الحملة الأمريكية الصليبية على العالم الإسلامي ممثلة في الأمريكان وإسرائيل..." (١٤٨).

ويرجع الأمين العام الأسبق لتنظيم الشباب المؤمن محمد سالم عِزّان فكرة الشعار إلى حسين الحوثي، حين سئل الأول عن الشعار المسببّ للحرب فقال:" حسين هو صاحب الفكرة، لأنه كان يحبّ أن يجمع الناس تحت شعار معيّن، من اجل أن يقول للناس شيئاً، لأن الناس عندهم مشاكل وجهل...فطرحوا قضية الشعار، وقلنا ربما إنها مناسبة لتلك الأحداث، ، التي حدثت يومها، وإذا بها تتحول من مسألة عاديّة إلى مسألة دينية كالصلاة، وأصدرت فتاوى بها والتأكيد عليها، حتى وصلت إلى المواجهات" (١٤٩).

ويؤكِّد حديث عزان المتعلّق بكون صاحب الفكرة حسين ما صرّح به المرجع الزيدي بدر الدين الحوثي والد حسين إذ أبى – في حديث له بهذا الشأن– أن يقرّ أنه مرجع الشباب المؤمن ، مسنداً ذلك إلى حسين، الذي أكّد أنه(أي بدر الدين) " مرجعية الدين والمذهب ، وقد كانت قبلاً، أما مرجعية هذه القضية فهو الولد حسين" . وقال إنه – أي حسين– " يدعو المسلمين إلى الثبات على الإسلام، وإلى الحذر من تدخّل أمريكا في الإسلام، وتغييرها له، والثبات أمام ذلك، بإعلان الشعار الإسلامي، حتى يكون حاجزاً ما بينهم وبين أمريكا، لكي لا تدخل عليهم بأي طريقة، وحينما ثبتوا على الشعار ضدّ أمريكا طاردتهم". وحين سئل:" هل يستأهل النداء بهذا الشعار أن تراق دماء المسلمين من أجله أجاب:" الحفاظ على الإسلام يستحق، لأن الله قال:{ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض}. فسئل:" ألم يكن من ألأولى : التنازل عن هذا الشعار حفظاً لدماء المسلمين؟" فأجاب:" نعم..لكن ما هو فِعْلنا [أي ليس عَمَلَنا] ونحن لم نقف إلا وقفة دفاع فقط؟ ولم يكن موقفنا هو موقف الابتداء لنقاتل" (١٥٠).

كما يؤكّد حديث عزّان المتعلّق بالمبالغة في الحفاوة بالشعار وإصدار الفتاوى إزاءه؛ ما صدر عن حسين الحوثي من فتوى تقدّمت بها مجموعة من أتباعه تسأله حول مدى جواز إقامة صلاة الجمعة مستقلة، نتيجة معارضة بعض المصلين لترديدهم ذلك الشعار عقب الصلاة في المسجد الجامع، فأجاز لهم ذلك، (١٥١)، لكن بعضهم أراد أن يستوثق لفتواه أكثر، فقدّم سؤالاً حول ذلك، إلى المرجع الأكبر بدر الدين الحوثي(الأب)، مشيرين إلى أن حسين الحوثي قد أجاز لهم ذلك، بيد أن هنالك من يقول: إن في ذلك تشتيتاً للشمل، وتفريقاً لعصى المسلمين، مما جعل بعض أتباع الحوثي يساورهم الشك في صحّة الصلاة، غير أن بدر الدين أفتاهم بعدم جواز ذلك، داعياً لهم إلى ترديد الشعار، وعادّاً الصلاة التي فيها الشك، صلاة من يخالف الاجتماع مع ترديد الشعار، حيث أجاب بالقول :" الجمعة تقام لرفع كلمة الحق، فيجب الاجتماع لرفع الشعار والخطبة المفيدة، لرفع راية الحق، والجهاد في سبيل الله، فما خالف ذلك فهو المشاق، وصلاته فيها شك، لأن الحقّ ليس معه، بل عليه أن يصلّي مع أهل الحق، ويترك الشقاق، ويرفع الشعار"(١٥٢).

ويبرّر محمّد بدر الدين الحوثي الشقيق الأكبر لحسين الاستمرار في رفع الشعار رغم ماخلّف من" هذه التداعيات الغامضة" فقال:" دعوتنا إنما هي إلى ثقافة قرآنية، وهي لا تحمل أي طابع عدواني، إنما لنحيي ما أحياه القرآن، ونميت ما أماته القرآن، وأمريكا هي حاضرة في كل مكان، ولو لم تكن حاضرة في بلادنا لما شنّت علينا هذه الحروب، لأننا هتفنا بالموت لها، وهذه فلسفة القضية فلا غموض إذاً" (١٥٣).

وواضح مما تقدّم أن الشعار قد أخذ لبّ تفكير حسين الحوثي بل آل الحوثي وأتباعهم وجلّ اهتمامهم، بحيث أضحى هدفاً تسيل دونه الدماء، وربما يقتل في سبيله الأبرياء، كما يؤذى آخرون ويعتقلون بسببه، وكأنه صار هدفاً بحدّ ذاته، حتى بلغ الانشغال بهذا الشعار والاحتفاء به أن جعله الحوثيون جزءاً من الذهنية المدرسية للطالب، إذ صار يغطي جزءاً لافتاً من بعض اللوازم المدرسية، كجدول الحصص اليومي، فتراه موزّع المفردات عن يمين الجدول وشماله، ومن أعلى ومن أسفل، كما أن ملصقات مقاطعة البضائع الأمريكية مغطاة بالشعار ذاته! (١٥٤).

دعوة للمراجعة:

ولا ريب أن التأثّر الخارجي في أمر الشعار لايستأهل مزيد تدليل بالنظر إلى ولادته، وملابسات انتشاره، ولكن ذلك لا يعني– من وجهة نظر الباحث– أن ذلك التأثر دليل تبعية

مقصودة لإيران أو لحزب الله أو سواهما،- في سبيل التسويق للمذهب الجعفري في اليمن-. والأرجح -لدى الباحث- عدم قيام تنسيق مسبق، أو أنّه أمر دُبِّر بليل مع أي طرف خارجي، بالنظر إلى موقف حسين الحوثي الصارم المختلف إلى حدّ كبير مع المذهب الجعفري، بل الرافض بشدّة انتهاج أيّة محاولة لإحلاله في اليمن. ويعزو الباحث ذلك التأثر إلى إعجاب عاطفي جامح لدى الحوثي بفكر الخميني ومنهجه في عملية التغيير، إلى الحدّ الذي أفقد الحوثي القدرة على التمييز بين الخصوصيات ومدى ملائمة البيئة اليمنية لذلك،رغم تحذيره من استيراد المذهب الجعفري وإحلاله في اليمن، ثمّ جاءت الاعتقالات في صفوف أتباعه، فالمواجهة العسكرية، مما جعل الموضوع يتحوّل إلى عناد وإصرار من الطرفين: الحكومي والحوثي. وهو ما يقتضي المراجعة والتقويم من كليهما.

وإذا كان للسلطة منطقها- المقبول أو المرفوض من قِبل الطرف الآخر- حين ترى شعاراً (مستورداً شكلاً وموضوعاً)، تفرضه جماعة يمنية، تعيش على الجغرافيا الوطنية، ثم تأبى الانصياع لما تعدّه الدولة واجبها في تحصين المساجد من أية أنشطة تشير إلى الارتباط بجهة خارجية على نحو لا يقبل الجدل- بصرف النظر عن النوايا والدوافع- ولا شك أنّه يستفّز عامة المصلين، ممن يختلفون مع الفكر الحوثي ومذهبه، سواء من أبناء المذهب الشافعي الأكثر انتشاراً، أم حتى من المختلفين فكرياً وسياسياً مع رافعي الشعار ومصدره الأصلي والفرعي، وكثير منهم ينتمون إلى المذهب الزيدي، بل إن بعضهم ينحدرون من سلالات هاشمية، هذا ناهيك عن أن الشعار يمثّل حرجاً خارجياً للدولة أمام الولايات المتحدة التي تقيم معها اليمن علاقة ديبلوماسية واتفاقات ثنائية ودولية؛ إذا كان للسلطة ذلك المنطق فإن ما يستأهل التوقّف والمناقشة هو ذلك الإصرار العنيد الذي يتسّم به الموقف الحوثي، بحجّج عِدَّة منها كونه أقل الأساليب أو الوسائل لمواجهة الطغيان الأمريكي والصهيوني. وذلك أمر غير مبرّر- في اعتقاد الباحث- بعد أن بلغت فتنة الشعار، ذلك المبلغ، وبعد أن وقعت بسببه من المفاسد الناجمة عن ترديده ، ما لم يعد خافياً على أحد، سواء في ذلك إزهاق الأنفس، أم التسبب في حملة الاعتقالات على ذلك النحو، أم جرّ البلاد إلى فتنة عمياء، أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني المستفيد الأول والحقيقي منها، إذ إن كل احتراب داخلي يتيح المجال -على نحو أو آخر للتدخّل الخارجي- ، وهو ما يعترف به حسين الحوثي ذاته حين يندّد بإعلان السلطة اليمنية المستمر أنها تعاني من (الإرهاب)، لأن ذلك يعطي الذريعة للخارج لتصنيف اليمن واحدة من الدول الإرهابية، مشيداً بالخميني الذي وصف أمريكا بأنها الشيطان الأكبر، وداعياً الرئيس اليمني، للاستفادة من موقف إيران في ذلك، ما لم فإن علي عبد الله صالح سيقع فيما وقع فيه ياسر عرفات (١٥٥). ومعلوم أن بعض الأحزاب السياسية في البلاد، بل بعض قيادات الدولة ذاتها، تجاهر باختلافها مع الولايات المتحدة والكيان

الصهيوني،وتعلن ذلك في أحاديثها وخطاباتها الرسمية، ولم يتسبب ذلك في وقوع فتنة، أو جرّ البلاد إلى أتون معركة داخلية على نحو ما حدث،-ونسأل الله أن لا يتكرّر-.

ومهما قال الحوثيون بأن ذلك الانزعاج من الشعار من قبل الولايات المتحدة، والتوجيه إلى السلطات اليمنية، بطمسه ، واعتقال مردّديه، دليل تأثيره، وآية قوّته؛ بخلاف حديث غيرهم مما يقدّم للاستهلاك المحلّي؛ فإن خصومهم سيردّ ون بأن ليس ثمّة انزعاج حقيقي من قبل الولايات المتحدة، مستشهدين بما قاله يحيى بدر الدين الحوثي في حواره مع إحدى المواقع العربية من أن" الحكومة اليمنية شجّعت بادئ الأمر شقيقه حسين على انتقادات ضدّ واشنطن، وعملت على إيجاد مناخ محرِّض في هذا الاتجاه، للفت نظر الولايات المتحدة إلى عدو (مفترض) في اليمن. وشدد الحوثي على أن الزيديين في اليمن "لا يعادون أحدا" و"عاشوا طوال تاريخهم في اليمن وبين ظهرانيهم مسيحيون ويهود من دون أن يلحقوا أذى بهم" (١٥٦).

كما سيردّ عليهم خصومهم بعدم إدراج حركة الشباب المؤمن ضمن قائمة الإرهاب الأمريكية، كما فعلت مع منظمتي حماس وحزب الله وسواهما من الحركات المفزعة حقّاً للولايات المتحدة والكيان الصهيوني، مع إعلانهما المستمر بأن معركتهما مع العدو الصهيوني في إطار الأراضي المحتلة لا خارجها !! ولم يحدث في أيّ مرحلة من مواجهات الحركة الحوثية مع السلطات اليمنية، أن هدّدت الإدارة الأمريكية أو لوحّت بالقيام بذلك، رغم كل ما فعلته الحركة من تحريض ضدّها، ومع الإصرار المستميت في سبيل الشعار، علاوة على الحرص الذي لا تخفيه السلطات اليمنية- بحسب بعض المصادر- في سبيل إدراج جماعة الحوثي ضمن قائمة الجماعات أو المنظمات الإرهابية، حتى إن زيارة الرئيس اليمني للولايات المتحدة أثناء اشتعال الحرب الرابعة في ٢٠٠٧م، حملت أولوية الإدراج تلك في مقدّمة أجندة المباحثات مع الإدارة الأمريكية، مع أن بعض المصادر كانت قد ذهبت حينذاك إلى أن بعض أركان الإدارة الأميركية في الكونغرس المعارضين لسياسة بوش لم تر في الحوثيين سوى جماعة دينية مختلفة إلى حد ما عن الجماعات التي تصفها بـــ (الإرهابية)، تلك المرتبطة بتنظيمي القاعدة والجهاد ،ناهيك عن عدم وجود أدلة ملموسة تثبت ارتباطها بإيران وفقاً لاتهامات السلطات في صنعاء (١٥٧).

وذلك ما اعترف به يحيى الحوثي صراحة في حواره مع إحدى القنوات حين سئل " هناك حديث عن مسعى أوروبي لتحويل أو تصنيف الشباب المؤمن كتنظيم إرهابي، هل تلمستم ذلك؟ وكيف يمكن أن تتعاملوا مع الوضع إذا ما صح ذلك؟ " فأجاب:" هذا العمل أصلاً، هذا العمل

هو بدأه الرئيس منذ بداية الحرب علينا، وكما أوضحنا عبر قناتكم وعبر قنوات كثيرة، وعبر كتابات كثيرة بأن الرئيس يسعى لأن نكون نحن الزيديين بديلاً عن إرهابييه، الإرهابيين الذين نظمهم وجعلهم.. وجعلهم يختطفون السواح ويفجرون السفن ويقتلون الأطباء الأجانب في البلاد، هؤلاء الإرهابيين[هكذا والصواب الإرهابيون] يريد أن نكون بديلاً عنهم، لكن لم ترضَ دول، لم ترضَ دول التحالف ولم توافق على أن تجعلنا، يعني أن تصنفنا كحركة إرهابية"(١٥٨).

بل إنه لم يعد سرّاً – بنظر متابعين– أن أحد أبرز أسباب إيقاف الحرب الخامسة – بوجه خاص– على ذلك النحو المفاجئ ما لمسته السلطة اليمنية من ضعف – إن لم يكن انعدام– الرغبة الأمريكية في الوقوف مع السلطة اليمنية حتى النهاية تجاه أزمة صعدة، وهو الهاجس الذي ذهب بالسلطة إلى حدّ التوقّع شبه المؤكَّد أن تستغل أحداث صعدة للتدويل، وأن تصبح صعدة (دار فور) جديدة! وهو ما كان ألمح إليه يحيى بدر الدين الحوثي في حواره مع بعض المواقع العربية حين انتقد الإعلام العربي لانحيازه إلى جانب الجلاد كما في العراق، حين ركّز على صدام حسين، على حساب الشعب العراقي، وكما في السودان حين أبرز جانب الحكومة السودانية، على حساب الضحايا في دار فور، وهو الأمر الذي يجري حالياً في اليمن على حدّ وصفه(١٥٩).
وقد استنتج محمّد يحيى سالم عزان صديق يحيى القديم، والأمين العام الأسبق لتنظيم الشباب المؤمن من خلال حديث مماثل للأول على إحدى القنوات أن حديث يحيى يهدف إلى تحقيق هدفين أحدهما:" التمويه على الخارج بتصوير ما يجري في صعدة، وكأنه حرب إبادة لجماعة على أساس فكري، ليتسنى لهم بذلك تدويل القضية، وفتح الباب أمام التدخلات الخارجية"(١٦٠).

وإذا كان ذلك في وقت لم تتطور فيه الأمور على ذلك النحو المثير الذي وصل حدّ توجيه مذكرة اعتقال فعلية للرئيس السوداني عمر البشير في ٢٠٠٩١٣١٤م على خلفية أزمة(دار فور)؛ فكيف تتوقع أن ينعكس ذلك على مشكلة صعدة في اليمن؟
كما قد يستشهد بعضهم بتصريحات سابقة لنائب السفير الأمريكي بصنعاء نبيل خوري، التي أبدت انزعاجها الضمني من تصريح سابق لرئيس الحكومة اليمنية علي محمّد مجوّر في كون الخيار الوحيد لمشكلة صعدة هو الخيار العسكري، في حين نصح خوري باستنفاد كل الخيارات السلمية، معلّلاً أن كل حرب لا بد أن تنتهي بسلم، وكل سلم لا بد أن يكون له شروط معيّنة (١٦١).

وهكذا فلن يعدم كل طرف أن يسوق جملة من الحجج لنظل في الدائرة المفرغة ذاتها، لذلك فإن موقف الحكمة يقتضي إعادة النظر في الأمر، إذا كان للحكمة صوت في حال شبه الصمت أمام صوت البندقية.

وإذا كان ثمّة مندوحة للمسلم أحياناً في أمور مقطوع بحرمتها،عند الضرورة، كالنطق بالكفر، مع اطمئنان القلب بالإيمان، فكيف بأمر اجتهادي، ذي ملابسات بيئية وظرفية خاصة. ولا نعلم نصّاً في القرآن الكريم أو السنة المطهرة، يدعو إلى تبنّي ذلك الشعار، أو الاستماتة في سبيله، بل إن الباحث – شخصياً- ليتحفّظ على جملة (اللعنة على اليهود) فذلك تعدٍّ لا يجوز مشايعته، إذ اليهود ليسوا جميعهم- خارج فلسطين- أعداء محاربين، ففيهم الذمِّي، وفيهم المستأمِن، والنهي إنما ورد في حق المعتدين الظالمين المحاربين، أمّا من عداهم فلا بدّ من البرّ بهم والإقساط إليهم: { لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين. إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولّوهم ، ومن يتولّهم فأولئك هم الظالمون } [الممتحنة : ٨-٩]. فثمّة مسالمون(ذمِّيون)، كمن يعيش بين ظهرانينا في اليمن، وقد أصبحوا مواطنين يمنيين، لهم ما لنا وعليهم ما علينا، أو (مستأمنون) دخلوا البلاد بعقد أمان هو (التأشيرة)، وهذا كفيل بصون كامل حقوقهم. كما أن اليهود أو النصارى ليسوا سواءً في اختلافهم معنا، وهذا ما وجّهنا إليه القرآن:

" **{ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون}**

(آل عمران : ١١٣-١١٤) .

ثم إن هذا ما أفاده حديث السيّدة عائشة -رضي الله عنها- أن رهطاً من اليهود استأذن على رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلّم- فقالوا : "السَّامّ عليكم"، فقالت عائشة :" بل عليكم السَّام واللعنة"، فقال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – : "يا عائشة إن الله يحبّ الرفق في الأمر كلّه " ، قالت : " ألم تسمع ما قالوا؟ " قال : " قد قلت : وعليكم " (١٦٢)، وفي بعض الروايات:" لا تكوني فاحشة"(١٦٣).

ويعتقد الباحث أن الإمام الخميني حين أطلق الشعار في حينه إنما أراد به الصهاينة المعتدين المحتلين(لاعموم اليهود أو جنسهم)، ولو أراد ذلك فلا حجة في قول أحد – ولا كرامة-، ولكن الباحث يستبعد ذلك المعنى، إذ لو كان هذا مراده، أي أن كل يهودي ملعون عنده، بمعنى أنه عدوّ محارب، يستحق الموت- على نحو ما يستنتجه القارئ لملازم حسين الحوثي أو المستمع لحديثه المسجّل، وما بدا تنفيذاً لهذا المفهوم في التعامل الحوثي العملي مع يهود صعدة، وهو ما يؤكّد سلامة هذا الاستنتاج- لما عاشت الأقلية اليهودية في إيران حياة

كريمة كتلك التي تعيشها اليوم في ظل الجمهورية الإسلامية، ولما شهدنا حضوراً لافتاً في المؤتمر الدولي المخصّص للبحث في حقيقة المحرقة (الهولوكست) الذي عقد في طهران في كانون الأول (ديسمبر) في طهران عام ٢٠٠٦م، ولما شهدنا حضوراً مماثلاً في المؤتمر القضائي الدولي لمحاكمة مجرمي الحرب الصهاينة الذي عقد في طهران كذلك في الفترة من ٤-٢٠٠٩\٣\٥م، بحضور بعض الشخصيات اليهودية المعادية للصهونية، وثمّة جماعة يهودية دينية مشهورة باسم جماعة ناتوري كارتا، تعدّ احتلال الصهاينة للأراضي الفلسطينية جريمة شنيعة في حق اليهود أولاً، بل نذير شؤم، يتهدّد اليهود بانتقام إلهي. ولن ينسى كل من شاهد ذلك المشهد المتلفز لرجل الدين اليهودي الذي أخذ جواز سفره في تظاهرة عامة بلندن ضدّ الجرائم الصهيونية في غزة التي استمرّت ٢٢ يوما(من ٢٠٠٨\١٢\٢٧-٢٠٠٩\١\١٧م)، فأحرقه أمام العالم، تعبراً رمزياً عن إدانته لجرائم الصهيونية في غزّة .

ما الذي يضير الحوثيين لو أنهم تداركوا الفتنة العمياء التي كان الشعار فتيلها الأول، وتذكّروا أن استيرادهم للشعار بكل ملابسات البيئة الزمانية والمكانية يمثّل خللاً في الرؤية إلى واقع اليمن وتحدّياته ذات الطابع الخاص؟

لماذا تريد الحوثية أن تذكّرنا – مع الفارق بطبيعة الحال- بتلك الظاهرة المؤسفة التي كانت – ولايزال بعضها مصرّاً على مسلك الخطأ – تستورد الأفكار والشعارات من الشرق تارة ، ومن الغرب أخرى ، وتنسى أن تربة بيئتنا لا تُنبت ناهيك عن أن تُخصب إلا ما هو صالح لها، وأنها ترفض كثيراً من البذور القادمة من هناك وهنالك، لعدم ملائمتها مُناخ الأرض اليمنية وتربتها. والغريب أن ذلك هو تحذير حسين الحوثي عينه، من استيراد عقيدة المذهب الجعفري وفقهه من إيران إلى اليمن!!

ولا يليق بالحكماء أن ينظروا إلى الأمر من زاوية واحدة هي زاوية العداء لأمريكا وإسرائيل فحسب، لتُستخدم الوسائل ذاتها التي يستخدمها الآخرون، بمعزل عن مدى إدراك مناسبة الظرف زماناً ومكاناً. ولو صحّت هذه الرؤية -رغم اختلاف الظروف والملابسات-، فليس ثمّة أبلغ في البلاء والجهاد اليوم من جهاد أبناء فلسطين وبلائهم،وفي غزّة بوجه خاص، فهل سيقبل دعاة الحوثية أن ينادي في اليمن من يتماهى مع خطّ مجاهدي فلسطين وفكرهم ليتبنّي استراتيجيتهم في المقاومة في اليمن – على سبيل المثال- ، وأن يرفعوا – من ثمّ- شعاراتهم ذاتها في المساجد، وأن يُنقل كل ما يجري على أرض غزّة إلى هذا القطر أو ذاك، بكل تفاصيله وملابساته؟ وتخيّلوا ماذا لو قام بعض المعجبين بحركة [حماس](ولا تنسوا أن [حماس] جزء من حركة الإخوان المسلمين السنّيّة) لنجد أنهم فجأة يصرخون دفعة واحدة ،وبصوت واحدٍ مدوٍ، عقب كل صلاة جمعة-مثلاً- (الله غايتنا- الرسول قائدنا- القرآن

دستورنا– الجهاد سبيلنا– الموت في سبيل الله أسمى أمانينا)، ومن وقف أو اعترض أو قال بأن هذا شعار حزبي خاص بجماعة معروفة، ظهرت في بيئة خاصة، في ظرف خاص؛ فإن ردّهم الجاهز سيكون: وهل يختلف من يعترض أو يرفض مع منطوق ذلك الشعار؟ أم أنّه من أعداء الجهاد، ومن حلفاء الصهاينة، وضدّ الرسول والقرآن!! وهنا سيبرز بيت القصيد، أي المراء واللّدد في أوضح معانيه. ونحن في غنىً عن ذلك كلّه.

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا: لماذا كلّ ذلك العَنَت والافتتان، بما لم يأمرنا به الله أو رسوله– عليه الصلاة والسلام–؟

وكم كان الباحث وغيره –ممن يسعون للوحدة وإصلاح ذات البين– سيستبشر لو خلت مبادرة عبد الملك الحوثي –في قت سابق، وفي واحدة من جولات الحروب السابقة مع السلطة– حين أبدى استعداد الحوثيين للحوار في أمر الشعار، لولا أنه عاد بخطابه ليشعر الطرف الآخر، بيقين قدرتهم على إقامة الحجة على مشروعية ترديد الشعار، وهو ما يوحي بأنه إن لم يتحقق ذلك الإقناع، فلا تنازل عنه. ولا يبدو عبد الملك الحوثي معتدلاً حين أبدى استعداد جماعته في الخطاب ذاته للاقتصار على ترديد الشعار في المناطق التي يكثر فيها أتباعه، دون غيرها، كحلّ وسط (١٦٤). ذلك أن هناك في تلك المناطق من أبناء مذهبه من يختلف معه في رفع ذلك الشعار في المساجد، بل وفيها من لا يتفق مع الحوثية في فكرها الخاص ابتداءً.

وهذا – في تقدير الباحث– يؤزّم الأمر أكثر، إذ يؤكّد من جديد حتمية الشعار وقطعيته، وضرورته، وكأنه أحد أركان الدين التي لا يجوز التزحزح عنها قيد أنملة، كما يوحي – ضمناً– بضعف سيطرة الدولة على بعض أجزاء وطنها، وكأن الحركة الحوثية (دولة داخل الدولة)، أو هكذا سيردِّد البعض! ألا من بقيّة حكمة يا أبناء الحكمة اليمانية؟

إن الأمل ليحدو المخلصين أن يسعى كل ذي مشروع بنّاء لبلورته وفق ما أوتي من قدرات وإمكانات سلمية مشروعة، تسلك مسلك بناة الحضارة، الذين يعملون أكثر مما يتحدّثون، ويدعون إلى وحدة الصف بمسلكهم قبل شعارهم، وينتمون إلى الأمّة كلّها،عوض الانتماء إلى العائلة، أو السلالة،أو العشيرة، أو المذهب، أو الطائفة، أو الحزب، حين تتحول هذه العناوين إلى مقاصد بذاتها، إذا ما أرادوا أن يقدّموا أنفسهم حلّاً مجتمعياً بديلاً لوضع الأزمة الشامل، ليتمكّنوا من مواجهة الفساد المستشري على كل الأصعدة، جنباً إلى جنب مع القوى الحيّة الفاعلة في البلاد، بعيداً عن حصر المشكل في بُعدٍ واحد، أو مجالٍ واحد، على حساب بقيّة الأبعاد والمجالات.

المبحث الرابع: مستقبل الحوثية :

عند الحديث عن مستقبل الحوثية فإن ثمّة من قد يختلف مع هذا العنوان ابتداءً، إذ يعتقد أن الحوثية قد دُفِنت ساعة إعلان إيقاف الحرب الخامسة، ولربما كان يعتقد الاعتقاد ذاته، ساعة القضاء على التمرّد الحوثي في الجولات السابقة، لكن لا أحد–في الوقت ذاته– بوسعه أن ينكر أن الظاهرة الحوثية ليست ظاهرة بسيطة، بل تؤكِّد مجمل الشواهد أنها ظاهرة معقّدة، ذات بُعد أيديولوجي وتربوي وتاريخي وجغرافي وسياسي متشابك متداخل، ولذلك فتحسن الإشارة إلى أن المقصود بالمستقبل هنا احتمالات ثلاثة، تسير في ثلاثة اتجاهات تبدو متلازمة، هي: الاتجاه العسكري والميداني، والاتجاه السياسي والتنظيمي، والاتجاه التربوي والفكري . وسيبدأ الباحث بالأول منها، وذلك على النحو التالي:

أولاً: الاتجاه العسكري والميداني

إذا استحضرنا جملة العوامل والملابسات التي أسهمت في تأسيس تنظيم الشباب المؤمن في طور المواجهة المسلّحة، وما آلت إليه الأمور بعد ذلك حتى الإعلان عن إيقاف الحرب الخامسة؛ فإنه بات من الواضح جدّاً أن إيقافها لم يتم بناء على حسم عسكري لأيّ من الطرفين، كما لم يكن مبنياً على اتفاق حقيقي – ولو من الناحية النظرية، كما جرت العادة في بعض الجولات السابقة– بل مثّل إعلان رئيس الجمهورية لذلك في ٢٠٠٨\٧\١١م مفاجأة بعثت على الدهشة لدى لجميع، إذ في الوقت الذي تعالت فيه صيحات المناداة من بعض الأصوات داخل السلطة بعدم إيقاف الحرب إلا بعد الحسم النهائي، نظراً لتمادي الطرف الآخر، وعدم خضوعه لصوت العقل والحكمة، والاستفادة من روح التسامح التي تمت معه في الجولات السابقة؛ يصدر قرار الإيقاف. غير أن عبد الملك الحوثي قد أفاد بعد نحو أسبوعين من إيقاف الحرب؛ بأن إيقافها تم "عن طريق تفاهمات ثنائية عبر وساطات محلية من أبناء المحافظة .... الشيخ فارس مناع والأخ دغسان أحمد دغسان والأخ علي ناصر قرشة وغيرهم، قاموا بجهود كبيرة تكللت بالنجاح وقد كان بواسطتهم".

وحين سئل :" هل وقف الحرب تم على أساس بنود اتفاق الدوحة أم أنكم من طلب وقف الحرب بعد تضييق الخناق عليكم كما تقول بعض الصحف !؟" أجاب:" "هناك تفاهم شفوي

بوساطة محلية، وفي البداية حدثت تفاهمات على هدنة يتم خلالها إيصال الأغذية والأدوية للناس في صعدة وغيرها ثم أوقفت الحرب بقرار من السلطة أثناء الهدنة "(١٦٥).

وأكّد في لقاء صحفي آخر أجري معه بعد أشهر من إيقاف الحرب الخامسة أن إيقافها " مبني على وقف إطلاق النار وفك الحصار المتبادل ورفع الحملات العسكرية وإيقاف الحشود العسكرية في المرحلة الأولى. وفي المرحلة الثانية الإفراج عن جميع السجناء و الإعمار وتطبيع الوضع العام حتى يعود كبقية البلد"(١٦٦) .

وجواباً على سؤال :"ما آخر ما وصلت إليه أعمال لجنة الوساطة برئاسة مناع ولجنة حصر الأضرار والتعويضات ؟" قال :" لا يوجد أي بوادر إيجابية حالياً، فقد توقفت عجلة السلام في حدود ملف السجناء والإعمار ولازالت السلطة – ودون أي مبرر – تماطل ولا تقوم بأي خطوة إيجابية تجاه ذل". (١٦٧).

أما عن عوامل إيقاف الحرب من جانب الرئيس وما إذا كانت ثمة ضغوط دولية قد مورست على السلطة ؟ وهل تم إجراء أية اتصالات معهم من قبل أطراف دولية أو إقليمية قبل إعلان الرئيس وقف الحرب ؟ فقد أجاب الحوثي:" هناك عوامل كثيرة لوقف الحرب العامل الدولي ليس العامل الوحيد أو الأساسي في وقف الحرب . ربما يكون هنالك عوامل سياسية وربما دولية لا أدري . لكن الأهم والأكثر تأثيرا في وقف الحرب هي عوامل داخلية وميدانية، فقد لوحظ من أداء الجيش في المواجهات أنه لم يكن مقتنعا بالحرب ... وهناك أعداد كبيرة من الجنود والضباط لم تشارك في الحرب وكانوا يعلمون بأنها حرب عبثية، وقد انعكس هذا على أدائهم في جبهات القتال وبالذات الشرفاء الذين رفضوا المشاركة في العمليات العسكرية بعضهم رفضوا الحرب منذ البداية وبعضهم عادوا إلى معسكراتهم ومنازلهم من جبهات الحرب. في المقابل كان المظلومون من أبناء صعدة لديهم قناعة بمظلوميتهم وبحقهم في الدفاع عن أنفسهم ومساكنهم ... كان هذا هو العامل الأهم في فشل العمليات العسكرية ويبدو لي أن السلطة ورئيس الجمهورية تحديداً قد اقتنع بعدم جدوى الحرب وبخطورتها على أمن واستقرار البلاد، فقرر التوقف عنها وإنهاءها، ونتمنى أن تكون القناعة كاملة ونهائية لدى الآخرين أيضاً" (١٦٨).

والواقع أنه كان قد أكّد في إجابته على سؤال سابق عن مدى التأثير الدولي حين سئل: "صدر إعلان الاتحاد الأوربي قبل شهر من توقف الحرب وطالب بوقف الحرب والعودة إلى اتفاق الدوحة الم يكن لكم اتصالات بأطراف دولية وإقليمية لوقف الحرب ؟ فأجاب :" الأخ

يحيى بدر الدين الحوثي يجري اتصالات على المستوى الدولي والعربي من أجل المساهمة في وقف الحرب وتثبيت السلام ولا شك أن الجهود التي بذلها قد ساهمت في ذلك ولكن العامل الداخلي والوساطة المحلية والإرادة السياسية لدى السلطة هي العامل الأهم في وقف الحرب والشيء المؤسف أن تدرك بعض الأطراف الدولية بان الحرب ليست من صالح اليمن ولا من مصلحة الأمن والاستقرار في المنطقة قبل أن تدرك هذا أطراف أساسية في السلطة وفي بلدان عربية شقيقة" (١٦٩).

اتفاق هشّ:

وكل ما تقدّم يدفع لا ستخلاص حقيقة جوهرية هي أن ليس ثمّة قواعد متينة بني على أساسها قرار إيقاف الحرب، مما يهدّد باندلاعها في أي لحظة– لا قدّر الله–، خاصة مع ما يتواتر من أنباء قادمة من صعدة –ولا سيما أثناء كتابة هذا المبحث من الكتاب – عن توترات عسكرية ومهاترات إعلامية بين السلطة والحوثيين، وقد وصلت حدّ الاشتباك المسلّح في أكثر من منطقة بين عناصر تابعة للحوثي من جهة ورجال الأمن وقبائل(ولد عامر) من جهة أخرى ، مما أسفر عن سقوط قتلى وجرحى بين الطرفين ولعل من أحدث تلك المواجهات ما وقع في مديرية غمر بمحافظة صعدة، ، حيث أكّدت المصادر أن المواجهات استمرت عدّة ساعات(١٧٠). ومع أنه قد نقل أن وساطة قادها الشيخ فارس مناع وعدد من مشائخ صعدة نجحت في إيقاف الاشتباكات التي وقعت في مديرية غمر بين الجيش وقبائل ولد عامر من جهة والحوثيين من جهة أخرى(١٧١)؛ إلا أن من المشكوك فيه – بحسب تجارب السابق– صمود ذلك الاتفاق، أو عدم اندلاع مواجهات أخرى في مناطق ثانية. إذ ما إن تم إعلان ذلك حتى تواترت الأنباء بتجدّد المواجهات بين الجانبين في بعض المناطق هناك ، وبحسب بيان صادر عن عبد الملك الحوثي يوم ٢٠٠٩\١٣\٢٧م فقد تم وصف السلطة بالظالمة لشنها عدواناً غير مبرّر على منطقة مران منذ صباح ذلك اليوم (الجمعة٢٠٠٩\١٣\٢٧م) ، شمل المدارس والسوق والخط العام، وعدداً من القرى ، وأضاف بأن القصف العسكري الذي يصدر عن المواقع العسكرية في (المجرم ولحمان) أسفر عن إصابة ثمانية مواطنين بجراحات متفاوتة، كما أسفر الضرب عن التدمير وإلحاق الضرر ببعض الممتلكات والبيوت والمواشي التابعة للمواطنين وعدّ البيان ما وصفها بـــ: تلك الجرائم التي تقوم بها تلك السلطة الظالمة المجرمة من دون أيّ مبرّر إنما هي بداية توجّه لشن حرب سادسة". (١٧٢). ثم وردت أنباء مقتل الشيخ يحيى قروش: أحد مشايخ مديرية مجز– محافظة صعدة يوم٢٠٠٩\١٤\١٠م، أثناء عودته إلى منزله في منطقو ربوع الحدود التابعة للمديرة، وقد اتهم محافظ صعدة حسن محمّد منّاع

الحوثيين باغتياله، مشيراً إلى أن من وصفهم بـــ" العناصر الإجرامية الخارجة على القانون والمثيرة للفتنة التابعة للحوثي قامت باغتيال الشيخ قروش، بعد أن قامت بقتل اثنين من أبنائه، والاستيلاء على مزارعه الخاصة، وممتلكاته الخاصة، مضيفاً بأن" المجني عليه حاول العودة إلى منزله بعد أن اطمأن على إثر جهود التهدئة التي قامت بها اللجنة الرئاسية المكلّفة بتهدئة الأوضاع في غمر ، بعد الاعتداءات الأخيرة، التي قامت بها العناصر التابعة للحوثي، واستولت خلالها على العديد من المرافق والمنشآت العامة والخاصة"(١٧٣).

ثم تأتي تصريحات الرئيس علي عبد الله صالح في بعض حواراته الصحفية الأخيرة لتوجّه اتهاماً مباشراً للوساطة القطرية، واصفاً لها بأنها انتهت، لكونها شجّعت الحوثي على التمادي، حيث جعلته يشعر أنه ند للدولة . وحين سئل عن دور محتمل لحزب الله في دعم الحوثيين أجاب بالقول:" الدعم ربما لا يقدم من «حزب الله» كحزب أو قيادة، ولكن من عناصر تنتمي إلى هذا الحزب. الذي أفهمه هو أن الحوثيين تلقوا خبرات في صنع القنابل والألغام والذخائر من بعض الخبراء وبعض العناصر الذين ينتمون الى «حزب الله» وبعض العناصر الحوثية ترسل للدراسة في لبنان، ولا اعتقد بأن «حزب الله» تبنى ذلك الأمر رسمياً ولكن ربما من أشخاص في الحزب. علاقتنا مع «حزب الله» ممتازة لأننا ندعمه في مواجهة التحدي الإسرائيلي، لكن ربما هناك أشخاص متطرفون، قد لا تكون لقيادة الحزب علاقة بهم، يكون لهم ضلع في الأمر، أو رضا عما يحصل، ولكن بعض الحوثيين يذهبون إليهم ويحاولون التقرب منهم وينقلون إليهم معلومات مضللة ليكسبوا ودهم ويقولون لهم في حقيقة الأمر نحن شيعة وهم ليسوا شيعة، وليس لدينا في اليمن شيعة بل لدينا زيدية، ولكن بعض هؤلاء يقولون إنهم شيعة أو متشيعون" (١٧٤).

وقد دفعت تلك الاتهامات الشيخ حسن نصر الله إلى نفي ما جاء على لسان الرئيس اليمني مطالباً إياه بتقديم أي دليل على صحّة الاتهامات، وقال:" نحن على استعداد لإرسال مفوّض العلاقات الدولية في الحزب إلى سفارة اليمن في بيروت غداً ليسأل السفير عن المعلومات التي تمتلكها السلطات اليمنية حول العناصر اللبنانية المتورّطة في دعم الحوثيين، كما تدّعي السلطات اليمنية" مشيراً إلى أنهم ليسوا محيطين بملابسات ما يجري في اليمن، ولذلك فإن (حزب الله) ليس مع أو ضدّ الحوثيين، لأن هذا شأن داخلي يمني، في حين أن هدف الحزب منحصر على المستوى الخارجي في مقاومة العدو الإسرائيلي.(١٧٥).

وفي سؤال عن واقع المشكلة الحوثية حالياً ؟ أكّد الرئيس صالح في الإجابة عليه أنه تم اتخاذ قرار بوقف العمليات العسكرية "من اجل وقف نزيف الدم اليمني وإحلال السلام في محافظة صعدة، وخيارنا هو خيار السلام، وقد وضعنا لتلك العناصر بضع نقاط ليلتزموا بها من أجل عملية السلام في المحافظة، وهي النزول من الجبال والانسحاب من المواقع وإخلاء المدارس وإعادة المنهوبات التي أخذوها من الدولة والمواطنين وعدم التدخل في شؤون السلطة المحلية لأن الدولة وحدها هي التي تمتلك السلطة(١٧٦).

ومن الأبعاد الجديدة التي بدأت في البروز في فترة التهدئة التي أعقبت الحرب الخامسة ظاهرة الثارات المتبادلة بين الحوثيين من جهة، وخصومهم من القبائل التي يتهمها الحوثيون بأنها وقفت مع الجيش في حربه ضدّهم من الجهة الأخرى. وفي واحدة من هذه المظاهر تتناقل الأخبار الواردة من محافظة عمران أن عدد القتلى تجاوز الـــ(٨٠)، والجرحى الـــ(٢٠٠) بينهم نساء وأطفال، كما أغلقت المدارس التي لايتجاوز عددها أصابع اليد الواحدة، وذلك منذ منتصف نوفمبر ٢٠٠٨م، بين قبائل سفيان من جهة وقبائل العصيمات من جهة أخرى، وذلك على خلفية الحرب الحوثية مع الجيش، إذ خرجت القضية عن عنوانها المرفوع وهو (حدّ السواد) المتنازع عليه بين القبيلتين، إلى اتهام الشيخ ناصر سلطان (أبو شوصا) شيخ ذو محمّد وقائدها الميداني من العصيمات مسلّحي الحوثي بالقتال إلى جانب الشيخ زايد بن زايد الصباري شيخ صبارة وقائدها الميداني وسفيان المشرق ضدّه وأصحابه، مع تأكيده على عدم حدوث خلافات بينه وبين الحوثي وأتباعه، وعدم مشاركته إلى جانب الجيش في قتال الحوثيين ! (١٧٧).

كما أن هناك حديثاً متزايداً عن منع الحوثيين عودة بعض المشايخ وبعض القبائل الذين يتهمهم الحوثيون بالتعاون مع الجيش أثناء المواجهات في الحروب الخمسة السابقة، رغم النفي المتكرِّر لذلك من قِبل عبد الملك الحوثي – على سبيل المثال– (١٧٨).

وعلى الصعيد الإعلامي نفى مصدر أمني مسئول ما وصفها بالمزاعم التي أطلقها صالح هبرة الناطق الرسمي باسم الحوثيين، حيث كان الأخير قد صرّح في وقت سابق بأن السلطة تحضِّر لحرب سادسة، واتهم المصدر الأمني هبرة بأن الحرب السادسة ليست موجودة إلا في عقله ونواياه، وتوعّدت العناصر الخارجة عن القانون، ممن قامت بالاعتداء على جنود الأمن بمنطقة الملاحيظ (على الحدود اليمنية السعودية) بأنها لن تفلت من العقاب، وستلاحق حتى تقدّم للعدالة (١٧٩).

ويبدو أن المواجهات آخذة في التصاعد إذ تفيد آخر الأنباء الواردة من صعدة – أثناء الكتابة– أن معارك ضارية أسفرت عن قتلى في معركة بين الجيش والحوثيين الذين استولوا على جبل عرعر عشية المولد النبوي(١٨٠).

وستظل مشكلة المناسبات الدينية كالغدير وذكرى استشهاد الحسين والإمام علي – رضي الله عنهما– والمولد النبوي محطات لإعادة فتيل الصراع كلما أخذ في التهدئة النسبية. فقبيل حلول ذكرى المولد النبوي الشريف لهذا العام ١٤٣٠هـ تناقلت بعض المصادر الإعلامية ذات الاطلاع أنباء مفادها " أن قراراً حكوميا قضى بمنع السيد عبد الملك بدر الدين القائد الميداني للحوثيين وأتباعه من إحياء تلك الاحتفالات بالمناسبة الدينية، بل والتهديد بضرب أي احتفالات قد تقام بعد التحذير الحكومي بحسب المصدر"(١٨١).

ومع أنه كانت هناك توقّعات بالاستجابة لقرار السلطة بالمنع (١٨٢)؛إلا أن الأنباء الواردة من محافظة صعدة أفادت بان احتفالاً بدا غير مسبوق، أقامه الحوثيون بهذا المناسبة، حيث تطايرت الألعاب النارية واختلطت بأصوات الرصاص في فضاء معظم مديريات صعدة احتفالا بالمولد النبوي الشريف، وفق طريقة تضمنت بعث عدّة رسائل موجهة إلى عدة جهات. "وكان المكتب الإعلامي لعبد الملك الحوثي قد دعا إلى أن يحظى الاحتفال لهذا العام باهتمام كبير، ردّاً على التحدّيات الهادفة إلى الإساءة إلى النبي – صلى الله عليه وآله وسلّم– ." وأكد البيان أنه لا مبرر شرعياً ولا قانونياً للسلطة التي وصفها بالظالمة في منع الاحتفال بالمناسبة. وأن أي محاولة لإعاقة أو منع الاحتفال بالمناسبة فإنما هو دليلٌ واضح على ما وصلت إليه السلطة من عداءٍ للإسلام ونبيه، وعمل باطل ظالم غير مقبول على حسب تعبير البيان" (١٨٣).

ويلخّص تقرير أخباري مجمل التصعيد الإعلامي والعسكري الميداني والاتهام المتبادل بالتسبب في إشعال حرب سادسة، بما ينبئ عن أن المستقبل العسكري مقلق، ولا يبعث على قدر من الطمأنينة(١٨٤).

ثانياً: الاتجاه السياسي والتنظيمي :

بالنظر إلى مرحلتي النشأة والتكوين، وعوامل الظهور الداخلية والخارجية، ومآلات الصراع بين الحوثيين والقوات الحكومية؛ يجد الباحث اختلافاً بين قادة الشباب المؤمن، في تحديد ملامح المستقبل السياسي والتنظيمي، سواءً لدى أولئك الذين تمكّنوا من السيطرة الفعلية عليه، ويعني بهم الباحث المؤسسين الأوائل الذين أعلنوا براءتهم من الدخول في مواجهة عسكرية مع الدولة، أي الأمين العام الأسبق لتنظيم الشباب المؤمن محمّد سالم عزّان، ومن ظل معه في

اتجاه الدعوة السلمية، أم حسين الحوثي وإخوانه ورفاقه ومن تابعه في اتجاه المواجهة والتصعيد. ومع أن محمّد سالم عزان يذهب إلى التأكيد بأن " الذين ذهبوا مع حسين ليسو ٩٠% كما ورد في سؤال وجّه إليه بهذا الخصوص،بل أكّد أن ٢٠%، فقط يمكن أن يكونوا مع حسين الحوثي، في حين أن ٨٠% من أعضاء المنتدى معتدلون، مضيفاً:" ولو جئنا بإحصائية ستجد أن بعضهم يواجه المتمردين والبعض الآخر جالس في بيته . أما الآن ولا ٥% ممن كانوا يعرفون في التنظيم مع عبد الملك الحوثي، وأكثر من ٩٥% من الذين معه لم نعرفهم في حلقات درس ولا في مراكز" (١٨٥).

وفي حوار آخر وفي سياق جواب على سؤال :" هل ما يزال منتدى الشباب المؤمن قائماً حتى الآن؟" أجاب:" الشباب المؤمن لم يعد قائماً الآن كمؤسسة وإدارة وما أشبه ذلك، لكن كون هناك شباب مؤمنين بالفكرة الحمد لله، مازالوا موجودين، وهؤلاء لم يعودوا متقوقعين، فقد ذهبوا إلى الجامعات، والانتماء لهذه المؤسسة لا يعني أنها صنم، لقد كانت فكرتنا أن نصلح الفرد ثم نتركه لأي حزب أو مؤسسة شاء، المهم أن يكون صالحاً في ذاته فكرياً".

وفي سؤال مباشر نصّه:" هل ستعاود مجدّداً لإحياء منتدى الشباب المؤمن؟" كانت إجابته:" أنا الآن صارت لديّ قناعة بأنّه يستحسن العمل من خلال مؤسسات الدولة، بحيث نفعل باعتبارها ملك الجميع، ولا تكون بيد حزب أو فئة أو طائفة، وتكون مؤسسات لليمنيين كلهم، بحيث يعود كل اليمنيين إلى الفكر الصحيح والاستقامة، ويتفعّل دور الإرشاد والثقافة، لأن إلغاء المذاهب أمر صعب جدّا ".

وفي آخر هذا الحوار سئل عزّان:" الآن ما ذا سيفعل محمّد عِزّان؟" فأجاب:" لقد قضيت ثمانية عشر عاماً طفولة ومراهقة، وعشر سنوات قضيتها في عمل حزبي ومذهبي، خرجت منه بتهم وفتاوى وإدانات، وعشر سنوات من أجل تشجيع الناس مع الدولة، ومع النظام والديمقراطية والدستور، وأخيراً حبست (إشارة إلى سجنه الذي امتدّ من7/11 /2004م إلى ٢٠٠٥/٤/٢٦م) فلا هذا تأتّى ولا ذاك حصل. أفضّل أن أعيش ما بقي من عمري لأولادي وأهلي، وأن أكتب ما ينفع الله به، بعيداً عن أي خلفيات سياسية، أو حزبية، وأتمنّى أن أعمل شيئاً يؤدّي إلى التقارب بين المذاهب" (١٨٦).

وبوسع الباحث أن يستخلص مما سبق أن عزّان بات يعتقد أن فكرة تنظيم الشباب المؤمن بكل أبعادها التربوية والفكرية والتنظيمية والسياسية غدت جزاءً من التاريخ القريب، ومن ثمّ فإن هذا الطرف قد حدّد رؤيته وموقفه المستقبلي من التنظيم، ويبدو أن ذلك الموقف صريح وجدّي، غير تكتيكي، أو اضطراري، فرضته المرحلة، بل يمكن الذهاب إلى شبه الاعتقاد بأن ذلك موقف نهائي، لا مرواغة فيه.

وإذا كان من المحال أن يجد الباحث في هذا الشأن حديثاً بأي معنىً لحسين الحوثي نظراً إلى أنه قضى في نهاية الجولة الأولى، من المواجهة المسلّحة؛ فإن حديث بعض إخوانه يكشف عن مسألة جوهرية ذات صلة عضوية بمستقبل الحوثية، ولكن على نحو لا يخلو من التعارض، فعلى حين ينادي يحيى الحوثي – على سبيل المثال– في رسالته إلى العلماء بضرورة "صدور موافقة رسمية بتأسيس حزب سياسي مدني في ظل الدستور والقانون، على أن ينتهي التأسيس في مدة أقصاها شهرين[هكذا والصواب شهران] من صدور الموافقة، على أن لا يتم وضع شروط تعجيزية لذلك"(١٨٧)، وهو العرض الذي لايزال قائماً من قبل السلطة حتى اللحظة، وفقاً لحوار الرئيس المشار إليه آنفاً، حيث قال بهذا السياق:" وإذا أرادوا أن ينشئوا لأنفسهم حزباً سياسياً فلا مانع لدينا وطبقاً للدستور والقانون، ومثل بقية الأحزاب، والوطن يتسع للجميع من دون اللجوء إلى العنف أو الإرهاب أو التخريب" (١٨٨). على حين نجد ذلك؛ فإن الشقيق الأصغر لحسين والقائد الميداني عبد الملك لا يوافقه شقيقه يحيى الرأي، إذ يقول في بيان شمل جملة مطالب– وإن كان ليس بين يدي الباحث ما يفيد أيّ الأمرين (الرسالة والبيان) سابقاً على الآخر، نظراً لإغفال تاريخ هذا البيان– من بينها موضوع تأسيس حزب، حيث ورد قوله :" بخصوص موضوع الحرّية، لا نرغب على الإطلاق في تشكيل حزب، وليس للدولة أن تلزمنا بذلك، كما ليس لها أن تحرمنا من حرّية الكلمة، بحجّة عدم تشكيلنا لحزب، لأن الدستور يكفل لنا كمواطنين حريّة الدين والمعتقد والفكر والكلمة،كما أن الدستور لايلزمنا بالتحزّب، حتى نحصل على حق حرّية التعبير"(١٨٩).

ويظهر للباحث أن رفض فكرة الحزب جاءت في الظرف ذاته الذي ظهر فيه البيان باسم المظلومين، بقرينة أن تلك الموافقة الواردة في رسالة يحيى جاءت أثناء استعار المعارك في الحرب الثانية، متزامنة مع انعقاد اجتماع لبعض علماء اليمن لتدارس أزمة صعدة، وكذلك جاء بيان عبد الملك في الظرف ذاته، بدليل أنه ورد فيه الإشارة إلى مطلب السلطة المتصل بـــ " وصول بدر الدين وأولاده إلى صنعاء" وأنه قد استجيب لذلك إذا وفّت السلطة بمطالبها باستثناء " وصول بدر الدين بنفسه، لظروف إنسانية وصحيّة..." (١٩٠). ومعلوم أن ذلك إنما حدث أثناء الحرب الثانية، أي بعد عودة بدر الدين من صنعاء، وبعد حواره الشهير مع صحيفة الوسط، وهو الظرف ذاته، الذي تردّد فيه أن بدر الدين يقود المعركة، بعد أن قتل ولده حسين في الجولة الأولى، ثم تردّد أن الأب قد قضى في الثانية. وليس لدى الباحث ما يجعله قادراً على ترجيح ما إذا كانت تلك الموافقة السابقة تمثّل رأي الجميع، أم أن الرفض هو السابق؟ ثم بدت مرونة بالموافقة؟ وما إذا كان كل من الموقفين تكتيكاً أم استراتيجية؟ أم تعبيراً عن نزاع حقيقي بين آل الحوثي؟!

ولعل من المرجّح أن الأمر قد استقرّ على الرفض، إذ لو كانت المسألة تحلّ سياسياً – من وجهة نظر الحوثيين أو بعضهم على الأقل– بتشكيل حزب سياسي فإن حزب الحق، يمكن أن يستجيب لمطالبهم إلى حدّ بعيد، فينضووا في إطاره، وهو حزبهم الأصلي، قبل أن يقدّم معظمهم– وفي مقدّمتهم حسين الحوثي استقالتهم منه– ، وللحزب تسجيل قانوني سابق في لجنة الأحزاب، ولا يستدعي سوى إعلان هذه الأخيرة رفع الحظر عنه، بعد أن طلب منها أمينه العام الأسبق أحمد الشامي حلّه، نظراً لصعوبات فنية وقانونية واجهته، مع أنّه عملياً قائم يمارس نشاطه، كأي حزب علني مشروع آخر.

ثالثاً: الاتجاه التربوي والفكري:

يمثّل الاتجاه التربوي والفكري في الظاهرة الحوثية جوهر الأزمة ولحمتها وسداها، وليس كل من الاتجاهين العسكري والميداني من جهة، والسياسي والتنظيمي من الجهة الأخرى؛ إلا وسيلتين من وسائل هذا الاتجاه.

وفي هذا السياق يؤكّد الرئيس علي عبد الله صالح في لقائه ببعض علماء الزيدية في ٢٠٠٤\٧\١٣م، أي أثناء اندلاع الجولة الأولى من المواجهات بين الجيش والحوثيين أن قانون التعليم سيطبّق من الآن" على كل أنحاء الجمهورية"(١٩١). كما أكّد في لقائه التشاوري بجمعية علماء اليمن بتاريخ ٥\١١٤ \٢٠٠٥م، أي أثناء المواجهات العسكرية في الحرب الثانية، أن الدولة سوف تشرف على المراكز التعليمية، إشرافاً كاملاً، سواء ما يتعلّق منها بالتعليم الأهلي أم الخاص، بهدف تنشئة جيل وطني معتدل، بعداً عن التعصّب والتطرّف المذهبي(١٩٢).

وإذا استثنينا الطرف المؤسس لتنظيم الشباب المؤمن ممثّلاً بمحمّد سالم عزان ومن شايع اتجاهه؛ فإن جملة المعطيات العلنية الرسمية للحوثيين تؤكّد أنهم لا يمانعون من التوقّف عن المواجهة العسكرية إذا لبيّت لهم بعض المطالب التربوية والفكرية.

ومع أن إجابة عبد الملك الحوثي في سؤال مباشر وجّه إليه ونصّه:" ما هو مشروعكم المستقبلي؟: قد قدّم إجابة عامة فقال:" لدينا مشروع ذو صبغة ثقافية قرآنية تنويرية لإصلاح واقع أمتنا، ونحن نتحرك في إطاره ونقوم بنشره، وليس مشروعاً سرياً ولا تآمرياً وليس المستقبل بمنفصل عن الحاضر ولكنه امتداد مرحلي"(١٩٣)؛ إلا أن شقيقه يحيى قد لخصّ مطالب الحوثيين في رسالته إلى العلماء على النحو التالي(١٩٤):

" – صدور قرار بإنشاء جامعة معتمدة لأهالي المنطقة في شتى المجالات المعرفية مع ضمان حق أبناء المذهب الزيدي في تعلم المذهب بحرية في الكليات الشرعية.

– إنشاء لجنة نزيهة لحصر واستعادة وإدارة الأوقاف الزيدية وبإشراف لجنة الضمناء.

– إعادة اعتماد المذهبين الشافعي والزيدي كمذهبين رئيسين للدولة واحترام فكريهما

وفقهيهما والمناسبات المتعارف عليها تاريخياً في تراث كل منهما (المولد النبوي، الإسراء والمعراج، النبي هود، الغدير... الخ). ومراجعة المناهج الدراسية الدينية لجميع المراحل بحيث لا تتصادم مع أصول أي من المذهبين الرئيسيين واعتماد ما اتفق عليه الطرفين وتجنب ما اختلفا عليه في هذه المناهج الرسمية.

– ضمان الحرية الفكرية بما يكفله الدستور والقانون اليمني وعدم التضييق على طباعة ونشر وتوزيع سائر أنواع الإنتاج الفكري والفني الشافعي والزيدي تحت أي مبررات عنصرية أو طائفية تتصادم مع الدستور اليمني والأعراف الدولية لحقوق الإنسان. وتفرج أجهزة الدولة عن كل المصادرات التي قامت بها خلال الأحداث منذ عام ٢٠٠٣م"

والحق أن جوهر هذه المطالب يتركّز على المشكلة التعليمية ذات الصلة بفلسفة المناهج، وهو أمر – في تقدير الباحث – جدير بالتأمّل والمناقشة، بغية الخروج من المأزق الوطني الذي تعاني منه البلاد برمتها.

وقبل أن يدلي الباحث بوجهته حول هذا الاتجاه ومساره، يرى أن يورد جانباً من حديث الأمين العام الأسبق لتنظيم الشباب المؤمن محمد يحيى سالم عزان، في تعقيبه على بعض ما أدلى به صديقه القديم يحيى الحوثي، في بعض حوارات الأخير المتلفزة، وما ورد في تعقيب عزان حيث قال:"٣– إن الدولة كانت ولا تزال الداعم الوحيد للمدارس الدينية الزيدية، كغيرها، وقد كان لجماعة الشباب المؤمن دعماً خاصاً من الأخ رئيس الجمهورية؛ لما تميزت به من وسطية واعتدال، قبل أن ينشق عنها الحوثيون ويذهبوا في اتجاه آخر، ولكن الأوراق اختلطت ووضِع الفرقاء في سلة واحدة، ونحن نؤكد للأخ الرئيس ولكل من عرفنا في السابق أننا لا نزال على موقفنا القديم من الوسطية والاعتدال والتسامح والحفاظ على الأمن والاستقرار، وأن ما قلناه للأخ الرئيس في عام ١٩٩٧م من أننا ننتمي إلى الوطن، ونحب الخير للناس، هو نفس موقفنا اليوم، وأن دعمه يومها لنا لم يذهب أدراج الرياح، ولن يعكره انشقاق الحوثي وذهابه في اتجاه آخر، وستثبت الأيام ذلك.

ولعل الأخ يحيى الحوثي لم ينس أن الدولة هي التي وجهت بطباعة مناهج مراكزنا سواء التراثية كما في (دار العلوم العليا)، أو المعاصرة كما في (منتدى الشباب المؤمن)، وصادف أن الأخ يحيى نفسه هو الذي جلب الأمر بطباعة المنهج في مطابع الكتاب المدرسي.

فليس لأحد من أتباع المذهب الزيدي مشكلة مع الدولة بسبب المذهب طيلة العقود الماضية، وكنا ولا نزال نقيم الندوات، وندرس في الحلقات، ونفتح المراكز، ونخطب في المساجد ونقيم الشعائر بلا اعتراض من أحد ما دمنا نتحرك وفق الدستور والقانون .

وإنما نشأت بعض الإشكالات والمضايقات بسبب الفتنة التي فرضت نفسها على الفكر الزيدي وأوقعت أبناءه في شبهة، فلولا الفتنة لما حدث شيء من ذلك، ولولا الفتنة ما سفك الدم ولا هدمت الدور ولا شردت الأسر ولا اعتقل الناس.

4-إ ن المطلع على أهم الكتب التي تولت طباعتها وزارة العدل في فترات مختلفة يجد أنها من أمهات كتب المذهب الزيدي، مثل كتاب (شرح الأزهار) في عشرة مجلدات، وكتاب (الثمرات اليانعة) في خمسة مجلدات، وكتاب (البيان الشافي) في أربعة مجلدات ضخمة، وكذلك كتاب (ضوء النهار (في أربعة مجلدات، ولم يجد الأخ الرئيس حرجاً من أن تهدى تلك الكتب إليه وتوضع صورته في مقدمتها، ويوضع عليها توجيهه بطباعتها .

كما أن الدولة منحت تراخيص وتصاريح لكثير من مراكز البحوث والدراسات، والمؤسسات الثقافية، والمكتبات ، ودور الطباعة والنشر، والصحف ومجلات، بل لم ينتشر المذهب الزيدي ويسمع في عصور الأئمة كما هو اليوم. وقد قمت إلى مجموعة من المهتمين بنشر التراث، بتحقيق ونشر كثير من أمهات كتب الزيدية، وكان آخرها قبل أسابع كتاب (شرح التجريد) للإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني المتوفى (٤١١هـ) في ستة مجلدات، طبعه (مركز التراث والبحوث اليمني (في مصر ودخل اليمن بطريقة مشروعة ووزعناه في مختلف محافظات اليمن ولم يعترض عليه أحد"(١٩٥).

ما كان للباحث أن يورد حديث عزان كما ورد لولا أن فيه ما يساعد على تقديم الحلول، إذ ثمة أرضية للبناء، وليس الأمر صفرياً، كما يصوّر أحياناً في لجّة الصراع.

وقد أدرك الباحث منذ اندلعت أحداث صعدة في ٢٠٠٤\٦\١٨م أن الفتنة في جوهرها تربوية فكرية، فعمل على محاولة تقديم تصوّر لدرء الفتنة المذهبية في جانب التعليم منطلقاً في ذلك من فلسفة التربية الإسلامية، ليقدّم رؤيته التي لم تنحصر في إطار المذهبين الكبيرين السائدين فحسب، بل شمل التصوّر الأقليات المذهبية الأخرى، وإن كان التركيز هاهنا على المذهبين السائدين، وحاصل رؤيته في ذلك:

<u>أولاً:</u> يجب التأكيد على أن اتجاه المصادرة أو الإلغاء للتعليم الخاص والأهلي بما فيه التعليم المذهبي غير وارد، وسواء أكان ذلك المذهب معتبراً كالزيدية والشافعية ، أم غير معتبر كالإسماعيلية مثلاً، بل وحتى حقوق غير المسلمين إن كان لهم وجود يدفعهم لإنشاء مدرسة خاصة بدينهم ، كالأقلية اليهودية -إن جاز ذكرها هنا لمحدوديتها-. ولكن ذلك لا يعني أن تبقى مدارس التعليم الخاص والأهلي جزراً لا يصل إليها نظام رسمي، أو يطبق عليها قانون سائد. فإذا جاز لها أن تتعلم كل ما لم يدرس في التعليم العام الرسمي والوطني فيما يتصل

بخصوصياتها المذهبية أو حتى الدينية –بالنسبة لغير المسلمين– فإن الأصل أن تشترك مع التعليم العام فيما يتصل بالواجبات العامة تجاه الوطن ووحدته ونظامه الجمهوري، ودين الغالبية فيه، لاسيما في القضايا العامة التي لا يسع المسلم أو المواطن النزاع فيها، كما وأن احترام كل مذهب لغيره، لاسيما بين المذهبين الكبيرين،ثم الأقليات الأخرى يمثل ضمانة أكيدة ، وصمام أمان للمجتمع بكل أطيافه .

وكل نص أو توجيه أو إيحاء ينتج أو يشجع التنشئة على الروح المذهبية الضيقة، المفضية إلى الكراهية والتعصب، أو إثارة الفتن، والنزعات الجاهلية تحت أي عنوان، أو السعي لفرض معتقداتها الخاصة بالقوة المادية، أو تصوير ذاتها بأنها وحدها الفرقة الناجية، أو الطائفة المنصورة، أو أن الآخرين (عامة)، ما لمذهبها، أو طائفتها، أو دينها؛ على الآخرين من سبيل، أو نحو ذلك مما يهدف إلى إلغاء الآخر، وإقصائه، ونزع المشروعية عنه، كل ذلك يعد دعوة إلى الفتنة، وخروجاً عن إطار التوافق الاجتماعي، كما هو خروج عن القانون في الوقت ذاته.

ويسند هذا التوجّه قول الحق– جل وعلا– : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا..) "الحجرات: ١٣".

(لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) "البقرة: ٢٥٦".

(ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)

(إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد) "الحج: ١٧".

إن هذا التوجّه لا يدعو إلى فتح الباب على مصاريعه لأي مذهب جديد أو طارئ، بل يركّز على المذاهب القائمة في المجتمع، ففي اعتقاد الباحث أن أية دعوة لإضافة مذهب أو مذاهب جديدة لا تخرج عن إذكاء الفتنة، والسعي لتهديد السلم الاجتماعي.

وإذا تذكّرنا أن حسين الحوثي هو الآخر ممن يحذِر من خطورة إحلال أو استيراد المذهب الجعفري إلى البلاد، ويرى في ذلك تهديداً للمذهب الزيدي؛ فإن ذلك يساعد أكثر في لجم أية دعوة مفتونة بمذهب قادم من هذه البيئة أو تلك. وليتذكر أولئك المفتونون باستيراد الدعوات المذهبية من خارج بيئتهم، ولا سيما المذهب الإثني عشري الجعفري الإمامي أن الجمهورية الإسلامية الإيرانية تنص في أول الأهداف العقدية العامة للتعليم هناك على "ترسيخ مبادئ وتعاليم الإسلام في إطار المذهب الشيعي الاثني عشري" (١٩٦). دون مراعاة للأقليات الإسلامية الأخرى وفي مقدمتها: السنة. وفي مقابل ذلك لا يسع المرء إلا أن يقف مقدراً ومقتدياً بمنهج الأزهر (السني) الذي يؤكد بعض أعلامه أن أحد أسباب نبوغه حرص الأزهر على عدم فرض مذهب واحد أو وحيد على منتسبيه، بل يتيح لهم حرية الاختيار لأي من المذاهب الفقهية كافة(١٩٧).

ثانياً: تكوين لجنة موسعة تضم خبراء في التربية وعلماء في الشريعة وكل من له صلة بهذا الشأن. ولعله من لازم القول التشديد على أن عناصر هذه اللجنة تضم ممثلين لكلا المذهبين السائدين ، بالإضافة إلى الشخصيات التربوية والعلمية المتحررة حقاً، والمتسمة جميعها بشروط الكفاءة والنزاهة والتجرد للحق ما أمكن، نظراً لأهمية المهمة، وحساسية المرحلة للنظر في:

١- مناهج التعليم العام الرسمي في المرحلتين الأساسية والثانوية:

من حيث المعايير المنضبطة للمحتوى الحالي، وما يمكن أن يضاف أو يحذف أو يعدل، بما يحقق الهدف الرئيسي العام وهو إخراج النشء الصالح المعتدل الموحّد فكراً وسلوكاً.

ولا شك أن المعايير الأساسية سالفة الذكر من عدالة اجتماعية وحرية ومساواة –بوصفها مقاصد يقينية للمشرع– ستكون الهادية والنموذج الحاكم لمسار عمل اللجنة في كل مراحلها أما مسألة الدليل العلمي والعملي لآلية عملها فتتمثل في القواعد الأصولية العامة في الفهم والاستنباط ومنهج الاستدلال العام.

٢- مناهج التعليم الجامعي العام الحكومي:

من حيث الإشراف على المقررات والمناهج من زاوية التأكد من عدم انغلاق الكتاب المقرر على مذهب بعينه ، بل حتى التأكد كذلك من التزام أستاذ المقرر –إن أمكن ذلك– من عدم فرض مذهب بعينه، فيما يتصل بالمذاهب الفقهية الفروعية في إطار الفقه المقارن بأوسع معاني الفقه، لتشمل كل أبوابه ومجالاته، وليس المعنى السائد المحصور في مباحث العبادات والمعاملات والأحوال الشخصية فحسب، مستهدين بالقاعدة الذهبية: "اجتماعهم حجة، واختلافهم رحمة"، أو: "نجتمع فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه".، أو أنه "لا إنكار في مختلف فيه إنما الإنكار في المجمع عليه" ونحو ذلك.

وكذا حظر تضليل أو تفسيق –ناهيك عن تكفير– أتباع المذاهب أو الفرق الإسلامية المعتبرة الأخرى أياً ما بلغ الاختلاف معها، أو شذت في أفكارها ما دام للتأويل –بأبعد معانيه– متسع فيها، وذلك وإن خرج عن عرف بعض السابقين في التعامل مع المخالف، ولكنه يحقق اليوم –في ظل التكالب الدولي على الأمة الإسلامية– مقصداً أساسياً من مقاصد الدين وهو حفظه من التآكل الداخلي (فساد ذات البين التي تحلق الدِّين). وليُعلم أن المحققين من أهل العلم في القديم والحديث لا يفرّقون بين الاجتهاد في المسائل الفقهية الفروعية والمسائل العقدية الفروعية ما دام الدليل فيها يحتمل ذلك التأويل أو الخلاف، حيث الأمر منهجي مبني على سلامة الدليل وقطعيته وروداً ودلالة بصرف النظر عن موضوع البحث كان فرعاً للأحكام أم فرعاً للاعتقاد وهذا مبسوط في مقامه ((١٩٨).

وإذا كان من حق الباحث المحقق ولوج باب الخلاف الفقهي أو العقدي فإن إثارة هذه المسائل أمام طلبة مبتدئين في سلم التعليم العالي سيحيل الدرس إلى قاعة محاكمة لأفكار ورجال لا محامي كفؤاً لهم، وسيتحول التلاميذ إلى خصوم ما بين ادعاء ومدعى عليه، ولا قاضي عدلاً متجرداً مقبولاً من الطرفين بينهم، علاوة على أن منهجاً كهذا سيفضي إلى تعزيز المشكلة من حيث تغذية الانقسام والفرقة. وحسب التعليم الجامعي أن يمنح الطالب مفاتيح البحث والمعرفة، ليلج بنفسه غمار هذه المجالات بعد التخرج إن شاء.

٣- مناهج التعليم الشرعي الأساسي والثانوي والجامعي (الخاصة):

وهنا يتم التأكيد على ضرورة إتاحة المجال لهذا النوع من التعليم سواء كان مذهبياً أم سلفياً أم طرائقياً (صوفيا) أم غير ذلك –كما تقدم– شريطة قيام الجهات ذات العلاقة في وزارة التربية والتعليم، ووزارة التعليم العالي للنظر في شأن الترخيص لعمل هذه المؤسسات، ومدى توافر الشروط اللازمة لذلك، بحسب القانون واجب التنفيذ للتعليم الأهلي والخاص ، ثم المتابعة الدورية المستمرة للتأكد من سلامة المسار وعدم خروجه عن الضوابط ومن أولى المهام والشرائط المفترض أن يتضمنها القانون التأكد من براءة هذه المؤسسات من كل ما من شأنه زرع روح المذهبية الضيقة، أو التنشئة على الكراهية، أو تهديد السلم الاجتماعي، أو فرض الأفكار والمعتقدات الخاصة بالقوة المادية، أو تصوير أفكار أصحاب هذه المؤسسة بأنها وحدها الممثل الشرعي للإسلام، أو الدعوة إلى الفتنة بأي معنى(١٩٩).

الخلاصة

(النتائج والتوصيات)

في ضوء المباحث الأربعة السابقة بوسع الباحث أن يخلص إلى جملة من النتائج والتوصيات، ويستهلها بالنتائج، وذلك على النحو التالي:

أولاً النتائج:

١- تمثّل الظاهرة الحوثية مشكلة معقّدة اختلطت فيها عناصر الفكر والسياسة والتاريخ والجغرافيا والعصر والأيديولوجيا والتنمية والمنافع المتناقضة، مما يقتضي استصحاب ذلك كلّه عند البحث فيها، والسعي نحو معالجتها.

٢- تنتمي الظاهرة الحوثية إلى المدرسة الزيدية (الجارودية)، وهي المتسمة بالالتقاء مع المدرسة الإمامية الإثني عشرية في جانب النيل من كبار الصحابة، وفي مقدمتهم الخلفاء الراشدون المتقدمون على علي بن أبي طالب – رضي الله عنه-.

٣- مرت الحوثية بمرحلتين : إحداهما مرحلة التأسيس والتكوين ١٩٩٠م، وسمتها تربوية تعليمية، وفيها بلغت أعداد الطلاب- حسب بعض التقديرات- نحواً من ١٨٠٠٠ طالب، و٦٧ حلقة ومركزاً، وانتشرت عبر تسع محافظات يمنية، بما فيها بعض المحافظات ذات الطابع الشافعي السنّي أو المختلط، ثم مرحلة المواجهة المسلحة التي اندلعت منتصف عام ٢٠٠٤م، وهنا انتقلت الحركة الحوثية إلى طور آخر، نجمت عنه أزمة وطنية كبرى، لاتزال تداعياتها مستمرة إلى أمد لا يعلم مداه إلا الله- تعالى-.

٤- تعزى عوامل ظهور الحوثية إلى عاملين رئيسين: داخلي وخارجي.

٥- يمكن إيجاز عوامل الظهور الداخلية في: جذور التشيّع السياسي التي تحصر حق الحكم في سلالة بعينها، وهو ما أكّد عليه المرجع الزيدي بدر الدين الحوثي والد حسين في حوار صحافي شهير، مع الإشارة إلى ظهور بعض الأصوات التي عدّت مثل ذلك الرأي مجرّد نظرية تاريخية لا تنسجم مع روح العصر، وعدّت مقياس الكفاءة- وليس النسب- هو المعيار الأساس في ذلك، كما تعزى إلى التكوين العلمي والفكري والأيديولوجي للمؤسس حسين بدر

الدين الحوثي، وإلى الخلافات الداخلية بين مؤسسي تنظيم الشباب المؤمن، وفي مقدّمتهم حسين بدر الدين الحوثي من طرف ومحمد يحيى سالم عزّان من الطرف الآخر، ثم قيام الحوثيين بطرد اليهود من ديارهم ببعض مناطق صعدة، بعد أن تمكَّن الحوثيون من السيطرة عليها.

٦- يمكن عزو جوهر عوامل الظهور الخارجية إلى فكرة تصدير الثورة التي تبنتها الثورة الإسلامية في إيران عقب انتصارها عام ١٩٧٩م، وإن ظل التأثر بها سياسياً، بالنسبة للرجل المؤسس (حسين الحوثي) على وجه التحديد.

٧- خلافاً للشائع في الوسط السني من كون مؤسس الحوثية (حسين الحوثي) تابعاً بالمطلق للإثني عشرية القادمة من إيران أو لبنان فقد تبين للباحث أن حسين الحوثي على خلاف كلي مع الفكر الإثني عشري الإمامي، وأبرز الشواهد على ذلك موقفه الرافض بشدّة لفكرة الإمام الغائب الثاني عشر، وتحذيره من إحلال المذهب الإمامي في اليمن، وتسفيهه لمسألتي المتعة والخمس عند الإمامية، بل كان حسين الحوثي ينطلق في دعوته من مرجعيته الزيدية الجارودية، مع بعض الاجتهادات الخاصة به، كما أثبتت ذلك بعض الوثائق المتضمنة في الدراسة بهذا الخصوص.

٨- مع التأكيد على الحقيقة السابقة المتصلة بعدم الربط بين الفكر الحوثي بالنسبة للمؤسس (حسين)- على وجه الخصوص- وبين الفكر الإثني عشري فلاشك أن اندلاع المواجهات المسلّحة قد أتاح المجال للتدخّل الخارجي على نحو غير مسبوق، وإن كان ذلك لايعني بالضرورة متابعة أيديولوجية أو فكرية، غير أنه تبين أن تلك المواجهات غدت مظلة لبعض المتحوّلين إلى الإثني عشرية، كما أصبحت غطاء لبعض المحاولات الخارجية الهادفة إلى تحقيق نفوذ لها على أرض اليمن، على غرار ما يحدث في غير ما قطر، وأبرزها العراق، هذا بصرف النظر عن موافقة أو عدم موافقة المؤسس الأول، أو من هو على خطّه الفكري بعد رحيله.

٩- من أبرز الشواهد الدّالة على مدى التأثّر بالعامل الخارجي شاهدا: الاحتفاء بيوم الغدير، والشعار الثوري الإيراني الشهير (الله أكبر، الموت لأمريكا ،الموت لإسرائيل، اللعنة على اليهود، النصر للإسلام)، على نحو من امتحان الناس به في المساجد الجامعة، والصلوات المشهودة، وعدّ ذينك الشاهدين قضيتين كليتين لا مجال للتنازل عنهما قيد شعرة.

١٠- تبين أن مستقبل الحوثية يسير في اتجاهات ثلاثة هي: الاتجاه العسكري والميداني، وكل مفرداته تؤكّد قدوم حرب سادسة- لاقدّر الله- ، ثمّ هناك الاتجاه السياسي والتنظيمي، وقد تبين أنه مشكلة عويصة معقّدة، بل متضاربة حتى في ذهنية القيادات الحوثية الحالية ذاتها، وتأكّد أن الاتجاه التربوي والفكري هو جوهر المشكلة وأساسها المنعكس على أبعادها جميعاً.

ثانياً التوصيات:

تتوزع توصيات هذه الدراسة بين طرفيها الرئيسين: الحوثيين والسلطة السياسية، وذلك على النحو التالي :

١- على السلطة السياسية التعامل مع الظاهرة الحوثية في مجملها بوصفها ظاهرة مذهبية معقّدة (قَدَرِية) قديمة، وإن تجلّت اليوم بصورة مختلفة نسبياً، بسبب بعض المعطيات والظروف المعاصرة، لكن ذلك لايحيلها إلى كيان غازٍ فاقد للمشروعية من الأساس، إذ هي – في حقيقة الأمر- امتداد للمدرسة الزيدية (الجارودية)، وهي قائمة باليمن منذ قرون متطاولة.هذا بصرف النظر عن قناعة الباحث أو هذا الطرف أو ذاك بفكرها وأطاريحها. ولكن لاشك أن ذلك بفرض عليها بالمقابل التعامل مع السواد الأعظم الغالب في المجتمع اليمني سواء من الزيدية الهادوية، أم من الزيدية الملتزمة بمذهب الإمام زيد المشتهر عنه في ترضيته عن كبار الصحابة، واختلافه مع من اشترط النيل من أبي بكر وعمر للقتال معه، أم من الشافعية السنّية وهي الأغلب في البلاد، تتعامل بقدر من مراعاة ثوابت الأغلبية،واحترام رموزها ومقدّساتها، وفي مقدّمة تلك الثوابت عدم المجاهرة بمعتقدها (الخاص) تجاه الصحابة، ولا سيما الخلفاء الراشدون- رضوان الله عليهم- .

٢- يشيد الباحث بالمبادرات الجريئة التي تبناها بعض علماء الزيدية في محاولتهم السعي نحو التفاعل الإيجابي مع نصوص القانون والدستور الساري في البلاد حول معيار الأهلية للحكم، وعدّ الكفاءة – وليس النسب – هو المعيار الأساس في ذلك. ومع إدراك الباحث أن ثمّة أصواتاً تقليدية ستظل متشبثة بالموروث الثقيل في هذا الباب، كما أن هنالك من سيظل يشكّك في النوايا، بسبب شبهة أو ما يعدّه غموضاً في الموقف النظري أو العملي،غير أنه يمكن تجاوز ذلك كلّه، حين يتم النص الواضح الجلي على معيارية الكفاءة – وليس النسب- بما يقطع اللغط كلية في الأمر، ويمكن تعزيز الاجتهاد الحرّ الجديد بالسلوكات العملية، عبر المؤسسات التربوية والأطر السياسية والتنظيمية، قبل مؤسسة الحكم.

٣- إن الباحث إذ يسجّل استغرابه من الموقف الحوثي تجاه الأقلية اليهودية في صعدة، بصرف النظر عن أية ملابسات تسببت في الإقدام على تلك الخطوة؛ فإنه لا يعدم الأمل من كون من أقدم على ذلك قد رأى النتائج العكسية التي أفضى إليها مسلكه في ذلك، فعلاوة على الظلم الذي حاق بأقلية تمثل جزاءً من النسيج الاجتماعي والوطني؛ فإنه بات من المرجّح أن أزمتهم إذا ظلت تتراوح في مكانها من غير الإسراع في معالجتها جذرياً؛ فإن ذلك قد يتيح

المجال للتدخّل الأجنبي، ومطالبة السلطة السياسية بترحيلهم إلى حيث يجدون المأوى الآمن، خارج البلاد–وفلسطين المحتلة هي البلد المقدَّس لدى اليهود– بدعوى حمايتهم من الاضطهاد والأذى، بل إن هو الذي حدث عملياً بعد أن طالبت المنظمة الصهيونية العالمية بترحيل ١١٣ يهودياً يمنياً إلى الكيان الصهيوني بدل الولايات المتحد الأمريكية على الخلفية ذاتها (200)، وربما تصعيد الأمر إلى حدّ الاتهام لليمن بتعريض الأقلية اليهودية للإبادة من منطلق معاداة السامية!! هذا علاوة على أننا مأمورون شرعاً بالبر بهم والإقساط معهم، وفي حال خطأهم أو تجاوزهم فإن ثمة مؤسسات للدولة يحتكم إليها الجميع، أيّاً كان سؤها أو ضعفها.

٤– يدعو الباحث الاتجاه الحوثي والسلطة معاً إلى الاحتكام الفعلي إلى مؤسسات الدولة ودستور البلاد وقوانينها النافذة، فيما يتصل بأية مطالب مشروعة للاتجاه الحوثي، وعدم اللجوء إلى العنف أو استعمال السلاح لحلّ أي نزاع، واعتماد منهج الحوار أساساً في ذلك.

٥– يشيد الباحث بتوجّه حسين الحوثي الرافض لإحلال المذهب الإثني عشري محلّ المذهب الهادوي، ويطالب أتباعه من بعده بإعلان نظري وعملي للموقف نفسه، ويعدّ الباحث موقفاً كهذا خطوة أساسية وهامة في اتجاه المصالحة الداخلية، وتفويت الفرصة على تجار الفتن، وأصحاب المشاريع الخارجية.

٦– مع تأكيد الباحث على حق كل مواطن في ممارسة حرّية الرأي والتعبير، وعدّ ذلك أمراً مكفولاً في الإطار الدستوري والقانوني؛ إلا أنّه يعتقد أن مما يتعارض معهما، ذلك الإصرار اللافت على إحياء مناسبات تتعارض مع جوهر الدستور والقانون والإعلان بالتزام قاعدة الشورى في الحكم، والتأكيد على الإيمان بالتداول السلمي للسلطة، ورفض الاعتبار النسبي بدل الكفاءة، ومن ذلك الاحتفاء بيوم الغدير، ذي المدلول المكرِّس لمفاهيم مضادّة، كما أن ترديد الشعارات المستفزّة للنظام السياسي، وما يعدّه تحدّيا للسيادة الوطنية، وإعلاناً للولاء الخارجي لهو أمر جدير بالمراجعة والتعقّل من قبل الاتجاه الحوثي، خاصة وأن النتائج على الأرض أثبتت أن ذلك لا يؤذي القوى المستكبرة كالولايات المتحدة بل يمنحها ذريعة التدخّل في شئون البلاد وابتزاز قرارها السيادي، وفيه ما قد يفضي إلى إدراج اليمن ضمن قائمة الدول غير المستقرة، ومن ثم تدويل أزمة صعدة، وهذا مكسب مؤقت لطرف في النزاع ، لكنه كارثة وطنية وقومية وإسلامية في حقيقة الأمر ومؤدّاه على الجميع.

٧–تفادياً لأية تداعيات عسكرية يصعب التكهن بمسارها، وإمكان التحكّم فيها، أو تلافي نتائجها – لاقدّر الله– من جرّاء التصعيد الإعلامي والعسكري المتبادل بين الطرفين، فلابد أن يُنظر إلى المشكلة من زواياها وأبعادها المختلفة، وفي مقدّمة ذلك الزاوية التربوية والتعليمية والفكرية، وأبعادها المنكسة على الجوانب الأخرى للمشكلة، وهو ما يقتضي معالجة تشترك فيها شخصيات ذات سمعة حسنة، ومسلك نزيه، وخبرة متراكمة في حلّ نزاعات من هذا

القبيل، مع التشديد على ضرورة إبعاد مسعِّري الحروب –من هذا الطرف أو ذاك– ومشعلي الفتن ، والمستفيدين من أجواء الأزمات، من الاشتراك في جهود المصالحة الجادّة المنشودة.

الهوامش

١– محمّد بن إسماعيل العمراني، الزيدية باليمن، ص٨، ١٤١١هـ–١٩٩٠م،الطبعة الأولى،صنعاء: مكتبة دار التراث.

٢– محمّد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ص ٦٥١، د.ت،د.ط، القاهرة: دار الفكر العربي.

٣– أبو الفتح محمّد عبد الكريم الشهرستاني،الملل والنحل،جـ١، ص١٥٥.د.ت،د.ط، القاهرة، مؤسسة الحلبي وشركاه.

٤– انظر: علي بن أحمد بن ناصر مجمل، القول الجلي في الذبّ عن مذهب الإمام زيد بن علي، ٢٠٠٦م، عدن: مكتبة الإكليل الجديد وصنعاء: دار النشر للجامعات، الطبعة الأولى، ص ٩٠–٩١، ١٥٧. وقد رواها شيخه من خلال كتاب الروض النضير شرح المجموع الكبير للإمام زيد ،عن شيخه محمّد بن علي المنصور عن شيخه محمّد بن يحيى قطران، عن شيخه العباس بن أحمد الحسني، صاحب تتمة الروض النضير، بسنده المتصل إلى زيد بن علي.

٥– راجع –على سبيل المثال– : علي عبد الكريم الفضيل شرف الدين، الزيدية: نظرية وتطبيق، ص ٩١ – ١١٧، ،١٤٠٥هـ– ١٩٨٥م، الطبعة الأولى، عمّان: جمعية عمال المطابع التعاونية.

٦– راجع النص في: محمّد بن علي الشوكاني، السيل الجرّار المتدفق على حدائق الأزهار(تحقيق: محمود إبراهيم زايد)، جـ٤، ٥٠٣ص،١٤٠٥هـ–١٩٨٥م،الطبعة الأولى الكاملة، بيروت: دار الكتب العلمية.

٧– يحيى بن حمزة، الرسالة الوازعة للمعتدين عن سبّ صحابة سيّد المرسلين، ص٥١، ١٤١١هـ–١٩٩٠م، الطبعة الأولى، صنعاء: مكتبة دار التراث.

٨– راجع–على سبيل المثال–: ابن كثير، البداية والنهاية،جـ٩،ص٣٢٨–٣٢٩،د.ت،د.ط،د.الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.

٩– علي عبد الكريم الفضيل شرف الدين، ، ص ١٣٥، مرجع سابق.

١٠– أبو الحسن علي ابن إسماعيل الأشعري، مقالات الإسلاميين، جـ١، ص ١٣٣ (تحقيق: محي الدين عبد الحميد)، ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م،الطبعة الثانية،د،م:د.ن، وانظر: الشهرستاني، جـ ١، ص ١٥٧– ١٥٨، مصدر سابق.

١١- راجع: حوار محمد سالم عزان مع صحيفة ٢٦ سبتمبر في ١٥مارس – آذار ٢٠٠٧
www.26sep.net/ncat.php?do=newindex&catid=4&page=7 - 67k
١٢- راجع: تقريراً عن النزاع في محافظة صعدة : الخلفية والتطور على موقع (إيرين) مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشئون الإنسانية
arabic.irinnews.org/printVer.aspx?SID=890 صنعاء في ٢٠٠٨/٧/٢٧م.
١٣- راجع: نص البيان في: صحيفة الناس(اليمنية) العدد(٢٣١) ، الصفحة الأخيرة٢١، ١٤٢٥\١٢١هـ-٢٠٠٥\١١\٣١م)(نقلاً،عن موقع إيلاف).
١٤- نبيل الصوفي،تفاصيل الثورة الحوثية الشيعية الزيدية مع الحكومة اليمنية، صحيفة الحياة(اللندنية)، ٢٠٠٧/٦/٣م.
١٥- أحمد عايض، الحوثيون والحوزات العلمية ونشر المذهب، موقع مأرب بريس، ١ *يونيو-حزيران ٢٠٠٨م.*
www.marebpress.net/articles.php?lng=arabic&id=3796 - 63k
١٦- حوار عزان مع صحيفة ٢٦ سبتمبر، مرجع سابق.
١٧- جمعت كلّها في مجلّد واحد، ١٤١٥هـ، الطبعة الأولى، د.ت، د.م:د.ن.
١٨- بدر الدين أمير الدين الحوثي، تحرير الأفكار،١٤١٥هـ- ١٩٩٥م ، صنعاء: مؤسسة أهل البيت للرعاية الاجتماعية.
١٩- حوار بدر الدين الحوثي مع صحيفة الوسط (اليمنية)، أجرى الحوار جمال عامر، انظر: موقع الوسط نت، ٩ مارس ٢٠٠٥م.
٢٠-راجع: الوثيقة المنسوبة إلى بدر الدين الحوثي المرسلة إلى السيّد جواد الشهرستاني في مدينة قُم، بتاريخ ١ربيع أول ١٤٢٥هـ وهي مثبتة ضمن (وثائق) كتاب عادل الأحمدي، الزهر والحجر، ص ٣٥٣-٣٥٥، ، ٢٠٠٦م، الطبعة الثانية، صنعاء: مركز نشوان الحميري للدراسات والنشر، وفيها إشارة إلى بعض الوزراء المؤيدين والمناصرين، وبعض المحافظين الذين وصفوا بالأتباع.
٢١- إسماعيل بن علي الأكوع، الزيدية: نشأتها وعقائدها، ص،١٤١٢هـ-١٩٩٣م، الطبعة الأولى، بيروت: دار الفكر المعاصر.
٢٢ -راجع: بيان الإمامة الذي وقّع عليه بعض علماء المذهب الزيدي؛ صحيفة الوحدة(اليمنية)، (وانظر نصّه الكامل في:عبد الفتاح البتول، عصر الإمامة الزيدية في اليمن،٢٨٤-١٣٨٢هـ، ص ٣٥٣-٣٥٦، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، الطبعة الأولى، صنعاء: مركز نشوان الحميري للدراسات والنشر.

٢٣- راجع: محمّد عبد الله زبارة، قراءة نقدية في بيان الإمامة، صحيفة الوحدة، ، انظر: نص المقال في المرجع السابق، ص ٣٥٧-٣٦٨.

٢٤- راجع:محمّد عايش، مجد الدين المؤيدي: نصف قرن من صياغة الهوية المعاصرة للزيدية،موقع نيوز يمن

http://www.newsyemen.net/show_fdetails.asp?f_no=303&page_no=3

٢٥- صحيفة الوسط، مرجع سابق.

٢٦- أشواق أحمد مهدي غليس، التجديد في فكر الإمامة عند الزيدية في اليمن، ص ١٧٥ ، ١٤١٧هـ١٩٩٧م، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة مدبولي.

٢٧- المرجع السابق، ص ١٧٥.

٢٨- محمد عايش ، مرجع سابق.

٢٩- راجع : علي عبد الكريم الفضيل شرف الدين، ص ١١٧-١١٨، مرجع سابق.

٣٠- راجع رأي المؤلِّف: ص ١٢،وردّ المؤيدي عليه ص جـ- ز في : علي عبد الكريم الفضيل شرف الدين، ، المرجع سابق.

٣١- المرجع السابق، ص ٥.

٣٢-محمّد عايش، مرجع سابق.

٣٣- صحيفة الوسط، مرجع السابق.

٣٤- مخطوط مجهول الاسم والمؤلّف، رقم ٤٩٤٤،ورقة ٧٣، موجود في مكتبة الدولة في برلين وفقاً لإسماعيل الأكوع، مرجع سابق، ص ٥٠ (هامش ١).

٣٥- راجع: نص رسالته بتاريخ ٢٠٠٥\٥\٢٥م في: عادل الأحمدي، (وثيقة)، مرجع سابق، ص ٣٧٣-٣٧٥.

٣٦- يمكن مراجعة مقالة عبد الملك الحوثي في الوسط نت -www.alwasat ye.net/modules.php?name=News&file=article&sid=3669 - 32k –

٣٧- حوار عزّان مع صحيفة ٢٦ سبتمبر ، مرجع سابق.

٣٨- حوار عزان مع صحيفة الناس، أجرى الحوار عبد الباسط القاعدي في ٩ \إبريل-نيسان ٢٠٠٧م، وانظره كاملاً في: مأرب بريس http://marebpress.net/articles.php?id=1501.

٣٩- حوار عزان مع الناس، المرجع السابق.

٤٠-المرجع السابق.

٤١- المرجع نفسه.

٤٢-انظر: حسين الحوثي ملزمة دروس من هدي القرآن: الثقافة القرآنية، ص ٢٠، بتاريخ ٢٠٠٢/٨/٤م، أعدّها ضيف الله صالح أبو غيدنة.

٤٣- حسين الحوثي،ملزمة دروس من هدي القرآن الكريم: الصرخة في وجه المستكبرين، ص٥-٦، بتاريخ ٢٠٠٢\١\١٧م، أعدّها ضيف الله صالح أبو غيدنة.

٤٤- المرجع السابق، ص.١٧

٤٥- انظر: حسين الحوثي: شريط(١) من معرفة الله ، الدرسان الثاني والثالث) أوالألباني والفوزان (انظر: حسين الحوثي ملزمة دروس من هدي القرآن: الثقافة القرآنية، ص ١٧، ، مرجع سابق.

٤٦- انظر:حسين الحوثي، ملزمة دروس من هدي القرآن الكريم: الصرخة في وجه المستكبرين،ص٨، مرجع سابق .

٤٧- راجع: حسين الحوثي، شريط : لقاء مع المعلّمين في ٢٦ و٢٠٠٣\٥\٢٨م، وشريط الزيدية والإمامية (٢)د.ت.

٤٨- انظر: حسين الحوثي ملزمة دروس من هدي القرآن: الثقافة القرآنية، ص ١٧، مرجع سابق.

٤٩- حسين الحوثي، شريط من معرفة الله، الدرس (٣) رقم (١)، و شريط : من هدي القرآن، معرفة الله، الدرس الثاني، شريط رقم(١)،د.ت.

٥٠- راجع – على سبيل المثال- :بيان من علماء الزيدية(هذا بلاغ للناس ولينذروا به)، منشور ة نسخة منه، ضمن وثائق كتاب الزهر والحجر، مرجع سابق، ص ٣٤٩، كما هو بنصّه في: عبد الله الصنعاني، خلفية الفكر الحوثي ومؤشِّر الاتجاه،جـ٢، ص ٨٥-٨٧،١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م،الطبعة الأولى، القاهرة: دار الأمل.

٥١- حوار عزّان مع صحيفة ٢٦ سبتمبر، مرجع سابق.

٥٢- راجع: حوار محمد بدر الدين الحوثي، مع صحيفة الديار(اليمنية)أجرى الحوار في ضحيان بصعدة: أسامة حسن ساري، العدد(٧٥)، ص١٣، ٢٠٠٨\١٢\٢٨م.

٥٣- علي عبد الكريم الفضيل شرف الدين ، ص٨٩-٩١، مرجع سابق.

٥٤- راجع: ملزمة دروس من هدي القرآن: الثقافة القرآنية، ص ١٩-٢٢، مرجع سابق، والصرخة في وجه المستكبرين،ص٦، مرجع سابق.

٥٥- راجع حوار بدر الدين الحوثي مع صحيفة الوسط ، مرجع سابق.

٥٦- حوار صحيفة عزّان مع ٢٦ سبتمبر ، مرجع سابق.

٥٧- المرجع السابق.

٥٨- المرجع نفسه .

٥٩- حوار عزان مع صحيفة الوسط، (بدون ذكر المحاوِر)، انظر الوسط نت ٦ يوليو ٢٠٠٥م.

٦٠- خطاب رئيس الجمهورية مع بعض العلماء المصنفين على المذهب الزيدي في ٢٠٠٤\٧\١٣م وانظر: عادل الأحمدي (ملاحق)، ص ٢٥٩-٢٦٠، مرجع سابق.

٦١- حوار عزان مع صحيفة ٢٦ سبتمبر، مرجع سابق.

٦٢- حوار عزّان مع الوسط، مرجع سابق.

٦٣- المرجع السابق.

٦٤- عبد الفتاح محمّد البتول، ص ٣٧٨، مرجع سابق.

٦٥- حوار عزّان مع الوسط، مرجع سابق.

٦٦- حوار عزّان مع الناس، مرجع سابق.

٦٧- حوار بدر الدين الحوثي مع الوسط، مرجع سابق.

٦٨- حوار عزّان مع ٢٦ سبتمبر، مرجع سابق.

٦٩-حوار بدر الدين الحوثي مع الوسط، مرجع سابق.

٧٠- محمد الخامري، موقع إيلاف
www.elaph.com/ElaphWeb/AkhbarKhasa/2007/1/207376.htm 48k -

٧١-- المرجع السابق.

72- المرجع نفسه.

٧٣- نفسه.

٧٤- علي العوارضي، تقرير إخباري، صحيفة الناس، العدد ٤٤٢، ص٤، ١٤٣٠\٤\١٧هـ- ٢٠٠٩\٤\١٣م.

٧٥- الناس، تقرير إخباري، محمود طه، ص ٢، المرجع السابق، .

٧٦- حوار عزان مع صحيفة ٢٦ سبتمبر، مرجع سابق.

٧٧- شاكر الجوهري، وثائق تكشف حقيقة أهداف الفتنة في صعدة، موقع المؤتمر نت،، ٢- يونيو-٢٠٠٧م.

٧٨- يمكن مراجعة: أحمد محمّد الدغشي: صورة الآخر في فلسفة التربية الإسلامية،١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، الطبعة الأولى،الرياض: وزارة التربية والتعليم.

٧٩- حسين الحوثي، ملزمة من هدي القرآن: الثقافة القرآنية، ، ص ٢٠-٢١،مرجع سابق.

٨٠- حسين الحوثي، ملزمة لاعذر للجميع أمام الله، ص ٦، مرجع سابق.

٨١- حسين الحوثي، شريط من هدي القرآن، (ولن ترضى عنك اليهود...)، في ٢٠٠٢\١٢\١٠م.

٨٢- راجع : إسماعيل بن علي الأكوع، هجر العلم ومعاقله، جـ٣ ، ص ١٥٦٣-١٥٦٧، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م،الطبعة الأولى، بيروت: دار الفكر المعاصر ودمشق: دار الفكر.

٨٣- البخاري، مصدر سابق، (كتاب المغازي (٦٤)، باب (بدون عنوان))، جـ ٨ ص١٥١، حديث ٤٤٦٧.

٨٤- المصدر السابق، (كتاب المرضى (٧٥)، باب عيادة المشرك (١١))، ج ١١، ص١١٩، حديث ٥٦٥٧، وراجع: أحمد محمد الدغشي، صورة الآخر في فلسفة التربية الإسلامية، مرجع سابق،ص ٧١-٧٧ .

٨٥-عبد الله السريحي (محقّق ودارس كتاب: أدب الطلب ومنتهى الأرب للشوكاني)، ص ٦٢ ،١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، الطبعة الأولى، بيروت: دار ابن حزم وصنعاء: مكتبة الإرشاد.

٨٦- محمّد بن علي الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، جـ٢، ص ١٣٤، ، د.ت، د.ط، بيروت: دار المعرفة.

٨٧-- فهمي هويدي، إيران من الداخل، ص ٢٠٢-٢٠٣، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م،الطبعة الثانية، القاهرة:مركز الأهرام للترجمة والنشر.

٨٨- -حسين الحوثي، شريط الزيدية والإمامية ، مرجع سابق .

٨٩-المرجع السابق.

٩٠-راجع موقع الشيخ علي الكوراني العاملي
www.alameli.net/books/index.php?book=28&part=1 - 69k

٩١- المرجع السابق.

٩٢- المرجع نفسه.

٩٣- نفسه.

٩٤- نفسه.

٩٥- راجع-على سبيل المثال- : عبد الله الصنعاني، جـ٢،ص ٣٥-٣٧ ، مرجع سابق.

٩٦-راجع: تقرير محمّد الخامري، إيران تنفي علاقتها بتمرّد الحوثي، موقع إيلاف، ١٣\إبريل\٢٠٠٥م،وهو مثبت في: عادل الأحمدي(ملاحق)، ص ٢٩٢،مرجع سابق.

٩٧- حسين الحوثي، شريط الزيدية والإمامية، مرجع سابق.

٩٨- راجع: تصريحات العوفي للقناة السعودية الأولى -على سبيل المثال- في: صحيفة الثورة(اليمنية الرسمية)، العدد ١٦١٢٠٨، ١ربيع ثاني ١٤٣٠هـ الموافق ٢٨مارس ٢٠٠٩م، ص ٣

٩٩- موقع الصحوة نت -http://www.alsahwa
/yemen.net/view_news.asp?sub_no=1_2009_03_28_69486

وصحيفة الناس ،العدد ٤٤٠، ١٤٣٠\٤\١٣هـ-٢٠٠٩\٣\٣٠م،ص ٣.

١٠٠- محمّد بن محمّد المهدي، على هامش حوارات سابقة مع الأستاذ عبد الفتاح الحكيمي، صحيفة إيلاف(اليمنية)، العدد(٦٥)، ص ١٣، ٣ ذو الحجة ١٤٢٩هـ- ٢ ديسمبر ٢٠٠٨م.

١٠١- حوار من إيران مع الطالب الجعفري حسن علي العماد (لم يُذكر اسم المحاوِر)، صحيفة إيلاف (اليمنية) ، العدد (٦٥) ص٣، المرجع السابق.

١٠٢- حوار محمّد يحيى سالم عزان، مع صحيفة الناس، مرجع سابق.

١٠٣- راجع: حوار بدر الدين الحوثي مع صحيفة الوسط، مرجع سابق.

١٠٤- راجع حوار علي يحيى العماد مع صحيفة الوسط، الوسط نت
(http://www.alwasatye.net/modules.php?name=News&file=article&sid=990

١٠٥-المرجع السابق.

١٠٦- حوار مع الطالب الجعفري، صحيفة إيلاف(اليمنية)، ص، ٣، العدد(٦٥)، مرجع سابق.

١٠٧- المرجع السابق، ص .٣

١٠٨- المرجع نفسه، ص.٣

١٠٩- راجع؛ بيان حوزة قم في: عادل الأحمدي(ملاحق)، مرجع سابق،ص ٢٨١، وردّ علماء اليمن على البيانين في: المرجع نفسه، ص ٣٠٥-٣٠٦.

١١٠- راجع نص البيان في : صحيفة الناس،العدد(٢٣١)، الصفحة الأخيرة، مرجع سابق.

١١١- حوار مع الطالب الجعفري حسن علي العماد، صحيفة إيلاف، مرجع سابق، ص ٣.

١١٢- المرجع السابق، ص.٣

١١٣- راجع الرسالة المرسلة إلى السيّد جواد الشهرستاني، المنسوبة إلى بدر الدين الحوثي في: عادل الأحمدي(وثائق)، مرجع سابق، ص ٣٥٣-٣٥٥.

١١٤- وقد نشرت في صحيفة الناس في العددين(٤٢٢-٤٢٣)،١٤٢٩\١١\١٩هـ-١٧-٢٠٠٨\١١\١١م،ص١٢،و١٤٢٩\١١\٢٦هـ-٢٠٠٨\١١\٢٤م،ص ١٠- ثم في *بعض المواقع الإلكترونية* مثل مأرب بريس في ٢٠٠٨\١١\٢٦م، *ويمن نيوز وغيرهما*.

١١٥- راجع تصريح المؤيدي بذلك السبب في التسمية لمخالفي زيد بالرفض في تقريضه لكتاب: علي عبد الكريم الفضيل شرف الدين، ص هـ، مرجع سابق، وكذا إقرار بدر الدين الحوثي بذلك ضمناً، حين اقتصر تقريضه لكتاب شرف الدين على الثناء، دون إبداء أي تحفّظ على ما ورد فيه من تصريح بهذه التسمية،ص ٥، مع أن المؤلّف صرّح بتلك التسمية ص ١٣٥.

١١٦- *موقع المنبر* http://almenpar.com/news.php?action=view&id=1067

١١٧- محمّد يحيى سالم عزان، تعقيب على مقابلة يحيى الحوثي مع قناة الحوار، موقع نيوز يمن، ٢٠٠٧\١٣\١٧م.

١١٨- ملزمة الصرخة في وجه المستكبرين، مرجع سابق، ص ٦-٧.

١١٩- حسين الحوثي ملزمة : لاعذر للجميع أمام الله، ص ٩، ألقاها في ١٤٢٢\١٢\٢١هـ، صعدة، إعداد ضيف الله أبو غيدنة.

١٢٠- راجع: نص رسالة يحيى الحوثي في موقع ناس بريس في٢٠٠٧\١٥\١٦م.

١٢١- راجع: الرسالة التي بعث بها عبد الملك الحوثي إلى الشيخ شاجع محمّد شاجع في ٢٠٠٥\١٥\٣١م، ليتم إيصالها إلى رئيس الجمهورية، وقد تضمنت مطالب الحوثيين لحلّ القضية، وهي في: عادل الأحمدي(وثائق) ، مرجع سابق، ص ٣٧٦ وراجع : حوار عبد الملك الحوثي كذلك مع صحيفة الديار ، أجرى الحوار عابد المهذري ، منشور كذلك على (وانظره في: موقع: مأرب بريس، http://marebpress.net/articles.php?id=4496)

١٢٢-صحيفة الأهالي(اليمنية)، تقرير: أحمد الحسني، ٩ أكتوبر\٢٠٠٨م(وانظره في: مأرب بريس (http://marebpress.net/news_details.php?lng=arabic&sid=13366 .

١٢٣- مسلم، صحيح مسلم(بشرح النووي)، كتاب فضائل الصحابة، من فضائل علي بن أبي طالب،جـ١٥، ص ١٧٩-١٨٠، د.ت،د.ط، القاهرة: المطبعة المصرية، ومكتبتها.

١٢٤- انظر: أحمد بن شعيب النسائي، تهذيب خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (تهذيب وترتيب : كمال يوسف الحوت)، الأحاديث من٦٦-٧٣، ص ٥١-٥٣، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م،الطبعة الأولى، بيروت: عالم الكتب.

١٢٥- المرجع السابق،حديث رقم ٧٤، ص ٥٣-٥٤.

١٢٦- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، جـ ٧، ص ٧٤، د.ت، د.ط، بيروت: دار الفكر.

١٢٧- محمّد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، حديث رقم ١٧٥٠،جـ ٤، ص ٣٣٣ ،١٤٠٤هـ، الطبعة الثانية، عمّان: المكتبة الإسلامية، والكويت: الدار السلفية.

١٢٨- المرجع السابق، ص ٣٤٤.

١٢٩- راجع: خطاب الرئيس اليمني في لقائه مع بعض علماء المذهب الزيدي، صحيفة ٢٦ سبتمبر، العدد (١١٣٨)، ٢٠٠٤\٧\١٥م، وهو مثبت في: عادل الأحمدي،(ملاحق)، ص٢٦١، مرجع سابق.

١٣٠- راجع: حوار بدر الدين الحوثي مع صحيفة الوسط، مرجع سابق.

١٣١-حوار محمّد بدر الدين الحوثي مع صحيفة الديار، العدد (٧٥)، ص ١٣، مرجع سابق.

١٣٢- يحيى بن الحسين بن القاسم، بهجة الزمن في حوادث اليمن (نقلاً عن إسماعيل بن علي الأكوع، هجر العلم ومعاقله، مرجع سابق، جـ ٣، ص ١٥٦٦).

١٣٣- راجع: تقريراً عن احتفالات الغدير، صحيفة الناس، العدد(٢٣١)، الصفحة الأخيرة، مرجع سابق، وقارن: بمقالة أسامة حسن ساري، الحوثيون في الغدير، رسالة قوية، صحيفة الديار، العدد (٧٤)،ص٤، ٢٠٠٨\١٢\٢١م.

١٣٤- حوار مع عبد الملك الحوثي، عدن نيوز - موقع ايلاف – أجرى الحوار محمد الخامري ، ٥-٢-٢٠٠٧م، www.adennews.net/n000674.htm - 13k

١٣٥- حسين الحوثي، دروس من هدي القرآن الكريم، من عظمة الله، الدرس السابع، ص ٨-٩، ٢٠٠٢\١\٢٥م- صعدة.

١٣٦- ابن كثير، البداية والنهاية، جـ٧، ص ٣٣٨،د.ت،د.ط، الاسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.

١٣٧- المصدر السابق، جـ ٥، ص ١٠٦.

١٣٨- المصدر نفسه، جـ٥، ص ١٠٦.

١٣٩- راجع تقرير اليمن: النزاع في محافظة صعدة – الخلفية والتطور، مرجع سابق.

١٤٠- راجع كلمة رئيس الجمهورية في اختتام الدورة السابعة للخطباء والمرشدات في ٢٠٠٥\١\١م، في المرجع السابق، ٢٧٧.

١٤١- راجع كلمة رئيس الجمهورية في اختتام الدورة السابعة للخطباء والمرشدات في ٢٠٠٥\١\١م، في المرجع السابق، ٢٧٧.

١٤٢-. حسين الحوثي، ملزمة الصرخة في وجه المستكبرين ،ص ٩(الهامش١)، مرجع سابق.

١٤٣- المرجع السابق، ص ٩.

١٤٤- راجع: المرجع السابق، ص ٩-١٠.

١٤٥- حسين الحوثي، ملزمة لاعذر للجميع أمام الله، ص ١٩، مرجع سابق.

١٤٦- شريط توجيهات عامة، في ٢٠٠٣\٩\١٨م.

١٤٧- حوار حسين الحوثي مع إذاعة لندن، في ٢٠٠٤\٧\١٩م، وراجع نص الحوار في موقع: بوابة اليمن

www.ye26.net/vb/archive/index.php/t-2611.html - 7k -

١٤٨- راجع: نص حوار عبد الملك الحوثي حول الشعار والسلاح والعنف مع موقع نيوز يمن في ٢٠٠٥\٥\١٩م(لم يُذكر المحاوِر) وهو كذلك في: عادل الأحمدي،(ملاحق)، مرجع سابق، ص ٣٠٧-٣٠٩).

١٤٩- راجع: حوار محمّد سالم عزان، مع صحيفة الوسط، مرجع سابق.

١٥٠- راجع حوار بدر الدين الحوثي مع صحيفة الوسط، مرجع سابق.

١٥١-راجع: السؤال والإفادة بإجازة حسين الحوثي لذلك في: عادل الأحمدي (وثائق، مرجع سابق ، ص ٣٥٧.

١٥٢- راجع :السؤال والفتوى من قبل بدر الدين الحوثي في المرجع السابق(وثائق)، ص ٣٥٧.

١٥٣- راجع: حوار محمّد بدر الدين الحوثي مع صحيفة الديار، ص ١٣،مرجع سابق.

١٥٤- يمكن التأكّد من بعض هذه الصور من خلال الجداول والملصقات على بعض منشورات الشباب المؤمن التي تم توزيعها في الفترة السابقة.

١٥٥- حسين الحوثي، شريط من هدي القرآن(ولن ترضى عنك اليهود...)، مرجع سابق

١٥٦- حوار يحيى بدر الدين الحوثي مع العربية نت، ١٧ربيع الأول ١٤٢٦هـ - ٢٦ أبريل ٢٠٠٥م.

١٥٧- راجع: حمود منصر، تقرير أخباري حول القلق الأمريكي من استمرار حرب صعدة، ، صحيفة الوطن(السعودية)
www.alwatan.com/graphics/2007/05may/3.5/dailyhtml/politic.html31k-

١٥٨- حوار يحيى بدر الدين الحوثي مع قناة العربية، برنامج بانوراما: ما حقيقة التدخل الإيراني في اليمن عبر بوابة الحوثيين؟(أجرى الحوار ميسون عزّام)
www.alarabiya.net/programs/2007/03/05/32290.html - 74k وحواره كذلك مع القناة نفسها، برنامج نقطة نظام(أجرى الحوار حسن معوّض)، ١٤ ربيع الثاني ١٤٢٦هـ- ٢٢ مايو ٢٠٠٥م.

١٥٩- حوار يحيى بدر الدين الحوثي مع العربية نت، مرجع سابق.

١٦٠- محمّد يحيى سالم عزان، تعقيب على مقابلة يحيى الحوثي على قناة الحوار، يمن نيوز، مرجع سابق.

١٦١- راجع: حمود منصر ، صحيفة الوطن(السعودية)، مرجع سابق.

١٦٢- البخاري، صحيح البخاري،مصدر سابق، كتاب الاستئذان (٧٩)، باب كيف الردّ على أهل الذّمة بالسلام (٢٢)، جـ١١ ص٤١، حديث ٦٣٥٦، ومسلم، المرجع السابق، جـ ١٤ ص.١٤٦

١٦٣- مسلم، المصدر سابق، (كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب، بالسلام)،جـ ١٤ ص ١٤٧، والنووي، مصدر سابق، جـ ١٤ ص١٤٥..

١٦٤- راجع: عبد الملك الحوثي، بيان باسم المظلومين من أبناء صعدة،د.ت، في : عادل الأحمدي(وثائق)، مرجع سابق، ص ٤٠٧.

١٦٥- راجع حوار عبد الملك الحوثي مع صحيفة الثوري (لم يُذكر المحاوِر)،المنشور في مأرب بريس،في *٣١ يوليو-تموز ٢٠٠٨ م.*

١٦٦- راجع حوار عبد الملك الحوثي مع صحيفة الديار(أجرى الحوارعابد المهذري) وهو منشور في موقع مأرب بريس http://marebpress.net/articles.php?id=4496 *في ٢٦ نوفمبر-تشرين الثاني ٢٠٠٨ م).*

١٦٧- المرجع السابق.

١٦٨- حوار عبد الملك الحوثي مع صحيفة الثوري، مرجع سابق.

١٦٩- المرجع السابق.

١٧٠- عبد الله قطران، تقرير أخباري، صحيفة الناس، العدد(٤٣٧)، ١٤٣٠\٣\١٣هـ- ٢٠٠٩\٣\١٩م، ص.٣

١٧١- مأرب بريس *في ٠٨ مارس - آذار ٢٠٠٩ م* marebpress.net/news_details.php?lang=arabic&sid=15489 -)

١٧٢- راجع بعض مقتطفات البيان في : صحيفة الناس، العدد ٤٤٠، ١٤٣٠\٤\٣ هـ- ٢٠٠٩\٣\٣٠م ، ص ٣، مرجع سابق.

١٧٣- الناس، العدد ٤٤٢، ١٤٣٠\٤\١٧هـ- ٢٠٠٩\٤\١٣م.

١٧٤- حوار الرئيس اليمني مع صحيفة الحياة – لندن في ٢٠٠٩/٠٣/٢٨م، وانظر موقع الحياة http://www.alhayat.com/special/dialogues/03-2009/Item-20090327-493b6d70-c0a8-10ed-000c-e0bb323a44f6/story.html.

١٧٥- قناة المنار الفضائية، خطاب الأمين العام لحزب الله، حسن نصر الله في ٢٠٠٩\٤\١٠م.

١٧٦- حوار الرئيس اليمني مع صحيفة الحياة، مرجع سابق.

١٧٧-محمود طه، تقرير إخباري، صحيفة الناس، العدد(٤٣٧)، مرجع سابق، ص٧ .

١٧٨- راجع – على سبيل المثال- :حوار صحيفة الثوري مع عبد الملك الحوثي، مرجع سابق، وكذا حواره مع صحيفة الديار، مرجع سابق.

١٧٩- عبد الله قطران، تقرير إخباري، صحيفة الناس، العدد(٤٣٧)،مرجع سابق، ص٣.

١٨٠- صحيفة الأيام(اليمنية)، العدد ٥٦٦١ بتاريخ ٢٠٠٩\٣\١٩م
www.al-ayyam.info/default.aspx?NewsID=728230f7-eb3b-4dd4-8eb4-76a05a37f91c - 53k –

١٨١- محمود سعيد، تقرير إخباري، موقع التغيير نت ،٢٠٠٩\٣\١٧م
www.al-tagheer.com/news.php?id=8053 - 44k

١٨٢- المرجع السابق.

١٨٣- موقع مأرب بريس *٠٨ مارس – آذار ٢٠٠٩*
marebpress.net/news_details.php?lang=arabic&sid=15489 - 29k

١٨٤- راجع عبد الله قطران، تقرير إخباري، الحرب أولها كلام : الدولة والحوثيون: وعيد بالنار وتوعّد بالردّ، الناس، العدد (٤٤٣)، ١٤٣٠\٤\٢٤هـ- ٢٠٠٩\٤\٢٠م، ص٦، وانظر: صحيفة الأهالي (اليمنية)، تقرير إخباري، صعدة بين فكي السلطة والحوثي: اتهامات إعلامية واستعدادات عسكرية، العدد(٩٠)، ١٤٣٠\٤\٢٥هـ- ٢٠٠٩\٤\٢١م، ص.٢

١٨٥-حوار عزان مع صحيفة الناس، مرجع سابق.

١٨٦- حوار عزان مع صحيفة الوسط، مرجع سابق.

١٨٧- يحيى الحوثي، رسالة إلى العلماء في ٢٠٠٧\٥\١٦م، موقع ناس بريس، www.nasspress.com، مرجع سابق.

١٨٨- حوار رئيس الجمهورية مع الحياة ، مرجع سابق.

١٨٩- بيان باسم المظلومين من أبناء صعدة، حرّره عنهم عبد الملك الحوثي،عادل الأحمدي(وثائق)، مرجع سابق، ص ٤٠٧.

١٩٠- المرجع السابق.

١٩١- لقاء رئيس الجمهورية مع بعض علماء المذهب الزيدي، مرجع سابق.

١٩٢- راجع: كلمة رئيس الجمهورية في لقائه التشاوري بجمعية علماء اليمن، في ١٤\مايو\٢٠٠٥م، موقع ٢٦ سبتمبر، وهي منشورة في : عادل الأحمدي(ملاحق)، مرجع سابق، ص ٣١٢.

١٩٣- حوار عبد الملك الحوثي مع الديار، في ٢٦ نوفمبر- تشرين ثاني- ٢٠٠٨م، مرجع سابق.

١٩٤- رسالة يحيى الحوثي إلى العلماء، مرجع سابق .

١٩٥- محمّد يحيى عزان، تعقيب على مقابلة يحيى الحوثي مع قناة الحوار، مرجع سابق .

١٩٦- راجع: مجموعة من الكتاب، التعليم من حولنا (كتاب مجلة المعرفة "السعودية" رقم (١١)، ١٤٢٢هـ ، ص ٩٦، الطبعة الأولى، الرياض: وزارة المعارف.

١٩٧- راجع ما ورد في حوار: صلاح الصاوي مع مجلة الجسور، العدد الثالث، شعبان ١٤٢٤هـ ص ٧١، قبرص: شركة النجوم للصحافة والنشر .

١٩٨- راجع على سبيل المثال ما جمعه الباحث، بهذا الخصوص من أقوال لبعض المحققين في كتابيه، أهل السنة والجماعة: إشكال في الفهم أم في المفهوم، والتقريب بين السنة والشيعة، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، والخلاف السلفي السلفي في اليمن، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م وكلاهما صادران في طبعتيهما الأولى عن مركز عبادي للنشر -صنعاء.

١٩٩- راجع: أحمد محمّد الدغشي، إشكالية التعليم المذهبي : الداء والدواء ، مجلّة نوافذ(اليمنية)، العدد(٥٢)،جمادي الآخرة١٤٢٥هـ- أغسطس ٢٠٠٤م،ص ٢٢-٢٣).

٢٠٠- راجع موقع الصحوة نت www.alsahwa-yemen.net/view_news.asp?sub_no=1_2009_05_27_7076

٢

قائمة المراجع:

١- أحمد بن شعيب النسائي، تهذيب خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (تهذيب وترتيب : كمال يوسف الحوت)، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م،الطبعة الأولى، بيروت: عالم الكتب.

٢- أحمد عايض، الحوثيون والحوزات العلمية ونشر المذهب، موقع مأرب بريس، ١ *يونيو-حزيران ٢٠٠٨م.*
www.marebpress.net/articles.php?lng=arabic&id=3796 - 63k

٣- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، د.ت، د.ط، بيروت: دار الفكر.

٤- أحمد محمّد الدغشي، أهل السنة والجماعة: إشكال في الفهم أم في المفهوم؟ الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، صنعاء: مركز عبادي للنشر .

٥- أحمد محمّد الدغشي، الخلاف السلفي السلفي في اليمن: فقه العبرة وحتمية المراجعة، والتقريب بين السنة والشيعة: رؤية أخرى (رسالتان في كتاب): ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م ، الطبعة الأولى، صنعاء: مركز عبادي للنشر.

٦- أحمد محمّد الدغشي، إشكالية التعليم المذهبي : الداء والدواء ، مجلّة نوافذ(اليمنية)، العدد(٥٢)،جمادي الآخرة،١٤٢٥هـ- أغسطس ٢٠٠٤م.

٧- أحمد محمّد الدغشي: صورة الآخر في فلسفة التربية الإسلامية،١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، الطبعة الأولى،الرياض: وزارة التربية والتعليم.

٨- أحمد محمد الدغشي ، البُعد السياسي في الصراع الطائفي، صحيفة الناس، العددان(٤٢٢-٤٢٣)،١٩\١١\١٤٢٩هـ١٧-١١\٢٠٠٨م، و٢٦\١١\١٤٢٩هـ-٢٤\١١\٢٠٠٨م.

٩- أسامة حسن ساري، الحوثيون في الغدير، رسالة قوية، صحيفة الديار، العدد (٧٤)، ٢١\١٢\٢٠٠٨م.

١٠- إسماعيل بن علي الأكوع، الزيدية: نشأتها وعقائدها، ص،١٤١٢هـ-١٩٩٣م، الطبعة الأولى، بيروت: دار الفكر المعاصر.

١١- إسماعيل بن علي الأكوع، هجر العلم ومعاقله، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م، الطبعة الأولى، بيروت: دار الفكر المعاصر ودمشق: دار الفكر.

١٢- أشواق أحمد مهدي غليس، التجديد في فكر الإمامة عند الزيدية في اليمن، ١٤١٧هـ١٩٩٧م، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة مدبولي.

١٣- بدر الدين أمير الدين الحوثي، حوار مع صحيفة الوسط (اليمنية)، (أجرى الحوار جمال عامر)، موقع الوسط نت، ٩ مارس ٢٠٠٥م.

١٤- بدر الدين أمير الدين الحوثي، تحرير الأفكار،١٤١٥هـ- ١٩٩٥م ، صنعاء: مؤسسة أهل البيت للرعاية الاجتماعية.
١٥- بدر الدين أمير الدين الحوثي، تقريض لكتاب: علي عبد الكريم شرف الدين، الزيدية: نظرية وتطبيق، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، الطبعة الأولى، عمّان: جمعية عمال المطابع التعاونية.
١٦- أبو الحسن علي ابن إسماعيل الأشعري، مقالات الإسلاميين (تحقيق: محي الدين عبد الحميد)، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م،الطبعة الثانية،د،م:د.ن.
١٧- حسن علي العماد، حوار من إيران مع صحيفة إيلاف (اليمنية) ، (لم يُذكر اسم المحاورِ)، العدد (٦٥)، ٣ ذو الحجة ١٤٢٩هـ- ٢ ديسمبر ٢٠٠٨م.
١٨- حسن نصر الله ، خطاب الأمين العام لحزب الله، قناة المنار الفضائية، في ٢٠٠٩\٤\١٠م.
١٩-حسين بدر الدين الحوثي حوار مع إذاعة لندن، في ٢٠٠٤\٧\١٩م موقع: بوابة اليمن www.ye26.net/vb/archive/index.php/t-2611.html - 7k.
٢٠- حسين بدر الدين الحوثي، شريط من هدي القرآن، (ولن ترضى عنك اليهود...)، في ٢٠٠٢\٢\١٠م.
٢١- حسين بدر الدين الحوثي، شريط(كاسيت) : لقاء مع المعلّمين في ٢٦ و٢٨\٥\٢٠٠٣م.
٢٢- حسين بدر الدين الحوثي، شريط(كاسيت) توجيهات عامة، في ١٨\٩\٢٠٠٣م.
٢٣- حسين بدر الدين الحوثي ، شريط(كاسيت) الزيدية والإمامية (٢)د.ت.
٢٤- حسين بدر الدين الحوثي، شريط(كاسيت) من معرفة الله، الدرس (٣) رقم (١)،د.ت.
٢٥- حسين بدر الدين الحوثي، شريط(كاسيت) من هدي القرآن: معرفة الله، الدرس الثاني، رقم(١)،د.ت.
٢٦- حسين بدر الدين الحوثي: شريط (كاسيت)(١) من معرفة الله ، الدرسان الثاني والثالث،د.ت.
٢٧- حسين بدر الدين الحوثي، ملزمة دروس من هدي القرآن الكريم: الصرخة في وجه المستكبرين، بتاريخ ١٧\١١\٢٠٠٢م، أعدّها ضيف الله صالح أبو غيدنة.
٢٨-حسين بدر الدين الحوثي، ملزمة دروس من هدي القرآن الكريم، من عظمة الله، الدرس السابع، ٢٥\١١\٢٠٠٢م- صعدة.
٢٩-حسين بدر الدين الحوثي، ملزمة دروس من هدي القرآن: الثقافة القرآنية، بتاريخ ٤/٨/٢٠٠٢م، أعدّها ضيف الله صالح أبو غيدنة.
٣٠ -حسين بدر الدين الحوثي، ملزمة : لاعذر للجميع أمام الله، ألقاها في ٢١\١٢\١٤٢٢هـ، صعدة، إعداد ضيف الله أبو غيدنة.

٣١- حمود منصر، تقرير أخباري حول القلق الأمريكي من استمرار حرب صعدة، ، صحيفة الوطن(السعودية)
www.alwatan.com/graphics/2007/05may/3.5/dailyhtml/politic.html31k-
٣٢- شاكر الجوهري، وثائق تكشف حقيقة أهداف الفتنة في صعدة، موقع المؤتمر نت، ٢- يونيو-٢٠٠٧م.
٣٣- صحيفة الأهالي (اليمنية)، تقرير إخباري، صعدة بين فكي السلطة والحوثي: اتهامات إعلامية واستعدادات عسكرية، العدد(٩٠)، ١٤٣٠\٤\٢٥هـ- ٢٠٠٩\٤\٢١م.
٣٤ - صحيفة الأيام(اليمنية)، العدد ٥٦٦١ بتاريخ ٢٠٠٩\٣\١٩م
www.al-ayyam.info/default.aspx?NewsID=728230f7-eb3b-4dd4-8eb4-76a05a37f91c - 53k –
٣٥- صحيفة الثورة(اليمنية الرسمية)، العدد ١٦١٢٠٨، ١ربيع ثاني ١٤٣٠هـ الموافق ٢٨مارس ٢٠٠٩م.
٣٦-صحيفة الناس (اليمنية)، بيان الإثني عشرية في اليمن، العدد(٢٣١)، ٢١، ١٤٢٥\١\٢١هـ-٢٠٠٥\١\٣١م
٣٧- صحيفة الناس، العدد ٤٤٠، ١٤٣٠\٤\١٣ هـ-٢٠٠٩\٣\٣٠م .
٣٨- صحيفة الناس، العدد ٤٤٢، ١٤٣٠\٤\١٧هـ- ٢٠٠٩\٤\١٣م.
٣٩-صلاح الصاوي، حوار مع مجلة الجسور، العدد الثالث، شعبان ١٤٢٤هـ ، قبرص: شركة النجوم للصحافة والنشر .
٤٠- أبو الفتح محمّد عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل،.د.ت،د.ط، القاهرة، مؤسسة الحلبي وشركاه.
٤١- أبو الفداء، إسماعيل ابن كثير ، البداية والنهاية، د.ت،د.ط،الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.
٤٢- فهمي هويدي، إيران من الداخل، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م،الطبعة الثانية، القاهرة:مركز الأهرام للترجمة والنشر.
٤٣- ابن كثير، البداية والنهاية، جـ٧، ص ٣٣٨،د.ت،د.ط، الاسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.

٤٤- عادل الأحمدي، الزهر والحجر، ٢٠٠٦م، الطبعة الثانية، صنعاء: مركز نشوان الحميري للدراسات والنشر.
٤٥-عبد الله السريحي (محقّق ودارس كتاب: أدب الطلب ومنتهى الأرب للشوكاني)، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، الطبعة الأولى، بيروت: دار ابن حزم وصنعاء: مكتبة الإرشاد.
٤٦-عبد الله الصنعاني، خلفية الفكر الحوثي ومؤشِّر الاتجاه، ١٤٢٧،٨٧هـ-٢٠٠٦م،الطبعة الأولى، القاهرة: دار الأمل.
٤٧- عبد الله قطران، تقرير إخباري، صحيفة الناس، العدد(٤٣٧)، ١٤٣٠\٣\١٣هـ- ٢٠٠٩\٣\١٩م.

٤٨- عبد الله قطران، تقرير إخباري،صحيفة النّاس، الحرب أولها كلام : الدولة والحوثيون: وعيد بالنار وتوعّد بالردّ، صحيفة الناس، العدد (٤٤٣)، ١٤٣٠\٤\٢٤هـ- ٢٠٠٩\٤\٢٠م.

٤٩- علي بن أحمد بن ناصر مجمل، القول الجلي في الذبّ عن مذهب الإمام زيد بن علي، ٢٠٠٦م، عدن: مكتبة الإكليل الجديد وصنعاء: دار النشر للجامعات، الطبعة الأولى.

٥٠- علي عبد الكريم الفضيل شرف الدين، الزيدية: نظرية وتطبيق، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، الطبعة الأولى، عمّان: جمعية عمال المطابع التعاونية.

٥١-علي عبد الله صالح، *حوار الرئيس اليمني مع صحيفة الحياة* - لندن في ٢٠٠٩/٠٣/٢٨م، موقع الحياة http://www.alhayat.com/special/dialogues/03-2009/Item-20090327-493b6d70-c0a8-10ed-000c-e0bb323a44f6/story.html

٥٢- علي العوارضي، صحيفة الناس، تقرير إخباري، ، العدد ٤٤٢، ص٤، ١٤٣٠\٤\١٧هـ- ٢٠٠٩\٤\١٣م.
٥٣-علي الكوراني العاملي، موقع الشيخ الكوراني، (كتاب عصر الظهور) www.alameli.net/books/index.php?book=28&part=1 - 69k
٥٤- علي يحيى العماد، حوار مع صحيفة الوسط، (أجرى الحوار محمّد الخامري)، الوسط نت http://www.alwasatye.net/modules.php?name=News&file=article&sid=990

٥٥- عبد الفتاح محمّد البتول، خيوط الظلام: عصر الإمامة الزيدية في اليمن،٢٨٤-١٣٨٢هـ، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، الطبعة الأولى، صنعاء: مركز نشوان الحميري للدراسات والنشر.

٥٦- عبد الملك الحوثي، حوار حول الشعار والسلاح والعنف مع موقع نيوز يمن (لم يُذكر المحاوِر)، في ١٩\٥\٢٠٠٥م.

٥٧- عبد الملك الحوثي، المرحلة ليست مرحلة الإمامة، الوسط نت www.alwasat-ye.net/modules.php?name=News&file=article&sid=3669 - 32k –

٥٨- عبد الملك الحوثي، حوار مع موقع عدن نيوز – موقع ايلاف – (أجرى الحوار محمد الخامري) ٥-٢-٢٠٠٧م، www.adennews.net/n000674.htm - 13k

٥٩-مجد الدين المؤيدي، تقريض لكتاب: علي عبد الكريم شرف الدين، الزيدية: نظرية وتطبيق، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، الطبعة الأولى، عمّان: جمعية عمال المطابع.

٦٠- مجموعة من الكتاب، التعليم من حولنا (كتاب مجلة المعرفة "السعودية" رقم (١١)، ١٤٢٢هـ ، الطبعة الأولى، الرياض: وزارة المعارف.

٦١- محمّد بن إسماعيل العمراني، الزيدية باليمن، ١٤١١هـ-١٩٩٠م،الطبعة الأولى،صنعاء: مكتبة دار التراث.

٦٢- محمد بدر الدين الحوثي، حوار مع صحيفة الديار(اليمنية)(أجرى الحوار في ضحيان بصعدة: أسامة حسن ساري)، العدد(٧٥)، ص١٣، ٢٨\١٢\٢٠٠٨م.

٦٣- محمد الخامري، موقع إيلاف www.elaph.com/ElaphWeb/AkhbarKhasa/2007/1/207376.htm 48k -

٦٤- محمّد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، د.ت،د.ط، القاهرة: دار الفكر العربي.

٦٥ – محمّد عايش، مجد الدين المؤيدي: نصف قرن من صياغة الهوية المعاصرة للزيدية، موقع نيوز يمن http://www.newsyemen.net/show_fdetails.asp?f_no=303&page_no=3

٦٦- محمّد بن علي الشوكاني، السيل الجرّار المتدفق على حدائق الأزهار(تحقيق: محمود إبراهيم زايد)، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م،الطبعة الأولى الكاملة، بيروت: دار الكتب العلمية.

٦٧-محمّد بن علي الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، د.ت، د.ط، بيروت: دار المعرفة.

٦٨- محمّد بن محمّد المهدي، على هامش حوارات سابقة مع الأستاذ عبد الفتاح الحكيمي، صحيفة إيلاف(اليمنية)، العدد(٦٥)، ٣ ذو الحجة ١٤٢٩هـ- ٢ ديسمبر ٢٠٠٨م.

٦٩- محمّد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ١٤٠٤هـ، الطبعة الثانية، عمّان: المكتبة الإسلامية، والكويت: الدار السلفية.

٧٠- محمّد يحيى سالم عزّان، حوار مع صحيفة الوسط، (بدون ذكر المحاورِ)، انظر الوسط نت ٦ يوليو ٢٠٠٥م.

٧١-محمّد يحيى سالم عزان، تعقيب على مقابلة يحيى الحوثي مع قناة الحوار، موقع نيوز يمن، ٢٠٠٧\٣\١٧م.

٧٢- محمد يحيى سالم عزان، حوار مع صحيفة ٢٦ سبتمبر (اليمنية) في ١٥مارس - آذار ٢٠٠٧ - www.26sep.net/ncat.php?do=newindex&catid=4&page=7 67k

٧٣- محمد يحيى سالم عزّان، حوار مع صحيفة الناس، (أجرى الحوار عبد الباسط القاعدي) في ٩ إبريل-نيسان ٢٠٠٧م.

٧٤- محمود سعيد، تقرير إخباري، موقع التغيير نت ،٢٠٠٩\٣\١٧م www.al-tagheer.com/news.php?id=8053 - 44k

٧٥- محمود طه ، صحيفة الناس، تقرير إخباري، العدد ٤٤٢، ١٤٣٠\٤\١٧هـ-٢٠٠٩\٤\١٣م.

٧٦- مسلم، صحيح مسلم(بشرح النووي)، كتاب فضائل الصحابة، من فضائل علي بن أبي طالب، د.ت،د.ط،القاهرة: المطبعة المصرية، ومكتبتها

٧٧- مقبل بن هادي الوادعي، رياض الجنة في الرد على أعداء السنة، ومعه الطليعة في الردّ على غلاة الشيعة، وحكم القبّة المبنية على قبر الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلّم، ١٤١٥هـ، الطبعة الأولى، د.ت، د.م:د.ن.

٧٨- مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشئون الإنسانية، تقرير عن النزاع في محافظة صعدة : الخلفية والتطور على موقع (إيرين) arabic.irinnews.org/printVer.aspx?SID=890 صنعاء في ٢٠٠٨/٧/٢٧م.١٠

٧٩-موقع الصحوة نت - www.alsahwa-yemen.net/view_news.asp?sub_no=1_2009_05_27_7076 ٢

٨٠-موقع الصحوة نت -http://www.alsahwa-yemen.net/view_news.asp?sub_no=1_2009_03_28_69486

٨١- موقع مأرب بريس ٠٨ *مارس - آذار ٢٠٠٩* marebpress.net/news_details.php?lang=arabic&sid=15489 - 29k

٨٢- موقع مأرب بريس *في ٠٨ مارس – آذار ٢٠٠٩ م*
marebpress.net/news_details.php?lang=arabic&sid=15489 –

٨٣-موقع مأرب بريس،في *٣١ يوليو-تموز ٢٠٠٨ م.*

٨٤- مأرب بريس http://marebpress.net/articles.php?id=4496
في ٢٦ نوفمبر-تشرين الثاني ٢٠٠٨م.

٨٥- موقع: مأرب بريس،

http://marebpress.net/articles.php?id=4496

٨٦- موقع مأرب بريس
http://marebpress.net/news_details.php?lng=arabic&sid=13366

٨٧- نبيل الصوفي، تفاصيل الثورة الحوثية الشيعية الزيدية مع الحكومة اليمنية، صحيفة الحياة(اللندنية)، ٣/٦/٢٠٠٧م.

٨٨- يحيى الحوثي، حوار مع قناة العربية، برنامج نقطة نظام(أجرى الحوار حسن معوّض)، ٢٠/٥/٢٠٠٥م.

٨٩- يحيى الحوثي، حوار مع قناة العربية، برنامج بانوراما: ما حقيقة التدخل الإيراني في اليمن عبر بوابة الحوثيين؟ (أجرت الحوار: ميسون عزّام)
www.alarabiya.net/programs/2007/03/05/32290.html - 74k

٩٠- يحيى الحوثي، حوار مع العربية نت،(لم يُذكر المحاوِر)١٧ ربيع الأول ١٤٢٦هـ – ٢٦ أبريل ٢٠٠٥م .

٩١- يحيى الحوثي، رسالة إلى العلماء ، موقع ناس بريس في١٦\٥\٢٠٠٧م.

٩٢ – يحيى بدر الدين الحوثي، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق، موقع المنبر
http://almenpar.com/news.php?action=view&id=1067

٩٣- يحيى بن حمزة، الرسالة الوازعة للمعتدين عن سبّ صحابة سيّد المرسلين، ١٤١١هـ-١٩٩٠م، الطبعة الأولى، صنعاء: مكتبة دار التراث

المؤلف في سطور

* د. أحمد محمد الدغشي

- من مواليد الجمهورية اليمنية - صنعاء ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م
- أستاذ أصول التربية وفلسفتها المشارك - جامعة صنعاء
- كاتب في العديد من الإصدارات الداخلية اليمنية والعربية
- صدر له أكثر من عشرة كتب مطبوعة وثلاثة بالاشتراك، وله ثلاثة مثلها كتاباً للنشر.
- مشارك في العديد من المؤتمرات والندوات وورش العمل ذات الصلة بالفكر التربوي الإسلامي أو الإسلامي العام على مستوى الداخل والخارج.
- من أبرز بحوثه:
  - نظرية المعرفة في القرآن وتضميناتها التربوية - صادر عن المعهد العالي للفكر الإسلامي بفرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية.
  - سورة الأحزاب قبضة التربية الإسلامية - صادر عن وزارة التربية والتعليم بالسعودية.
  - أهل السنة والجماعة - أشكال في المفهوم أو في المفهوم - صادر عن مركز عبادي للنشر - صنعاء.
  - مقدمات أربع أولية في فقه التراث المعاصر صادر عن المنتدى الإسلامي للنشر - صنعاء.

هذا الكتاب

بانطلاق الحرب السادسة بين قوات الجيش اليمني والمسلحين الحوثيين تكون أهمية الكتاب الحالية قد برزت على نحو لا يحتاج إلى تدليل أكثر، ذلك أن فصوله كانت قبل اندلاعها وكأنها قد وقعت بالفعل - وهذا ما لم تكن تر جوه - ولكنها بإذن الله - لا تحابي أحد.

يتناول الكتاب الظاهرة الحوثية في أربعة مباحث هي:

- الخلفية التاريخية
- مراحل التنظيم وتطورات النشأة
- عوامل الظهور وجدلية العلاقة بالخارج
- مشاهد التسلسل العسكري، والتنظيمي والتربوي.

دار الكتب اليمنية
صنعاء - اليمن